جامعة الأزهر

حولية كلية اللغة العربية

بنين بجرجا

آليات فهم النص القرآني عند الشيخ أمين الخولي بين النظرية والتطبيق

عرض ونقد

الدكتور

محمود خليفة محمود حفناوي

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

العدد الخامس عشر

للعام ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

الجزء الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين ، إمام المرسلين ، وقائد الغـر المحجلـين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آلـه ، وأصـحابه ، وأتباعـه ، وأزواجه ، وأنصاره ، ومن اهتدى بهديه ، وسار على نهجه ، وسلك طريقه إلى يوم الدين ،

وبعد....

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى، المتضمن رسالته الخاتمة الجامعة التي أنزلها على خير خلقه وخاتم رسـله، هـدى ورحمـة وضياء وذكرى للعالمين، وفي نوره قامت الديانة المُرضيّة، وأُسست الملة الحنيفية، وانبنـت صـروح الحضـارة الإسـلامية، والعلـوم الشرعية، وتمت النعمة الربانية، فلله سبحانه وتعالى الحمد والمنة.

هذا، وقد قام على حفظه من كل وجه أئمة الإسلام وسائر أهله عبر العصور، فعكف عليه العاكفون دراسة لألفاظه، وفهما لمعانيـه، واستخراجا لحكمه، وتعديدا لدرره ولطائفه، وتذوقا لبلاغته، فبرعوا في فهم ألفاظه ومعانيه، وصوته ومكتوبه، وقراءاته وفـن تجويـده وترتيله، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وأحكامه وقصصه وعقائده، وعظته وعبره، وترغيبـه وترهيبـه، ومكيـه ومدنيـه، ومناسبات نزول آيهِ ونجومه، ومناهج تفسـيره، وقواعـد تأويلـه،

وأصول تدبره، وفهم معانيه، وإدراك مراميه، ... مصداقًا لقول الحق جل شأنه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

مرت الأمة الإسلامية على هذا النهج القويم ردحا من الزمان، حافظة لكتاب ربها، واقفة عند حدها، لا تقترب من جناب الكتاب الكريم إلا بأدوات فهمه، لا تزيد عن ذلك ولا تنقص، حتى جاء النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي، فشهد تصاعدًا ملحوظًا لمحاولات إعادة قراءة القرآن الكريم من مداخل جديدة، وبأدوات مستحدثة، وقد أحدثت بعض هذه المحاولات أحيانًا جدالات واسعة بين علماء الأمة ومفكريها والمثقفين وعامة الناس؛ الأمر الذي اتسم في معظمه بالحدة والانفعال العاطفي في تلقي هذه الأطروحات، خاصة لما ارتبط بها من نتائج مستغربة وآراء مستفزة للمخاوف والاعتراضات.

بيد أن تراكم هذا الاتجاه وتجدد ممارساته والاتساع المشهود لإنتاجه، صار مما يستلزم وقفة ملية لإجراء قراءة علمية موضوعية لأهم كتابات هذا الاتجاه وكتابه، وهو الشيخ أمين الخولي الذي عده الكثير من المفكرين أستاذا لهم رغم اختلاف مشاربهم، وتنوع ثمارهم، فبينما نرى من تلاميذه زوجته بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن، نجد من المعجبين به أيضا الموردين لكلامه في كتبهم نصر حامد أبو زيد، على الرغم من البون الشاسع بين بنت الشاطئ وأبي زيد، لذلك كله آثرت أن أقف في هذا البحث مع الشيخ أمين الخولي، قارئا كتبه كتابا كتابا، طيلة خمس سنوات، مع قراءة ما كتب على ضفاف نهره من كتابات مادحة كانت أو قادحة، بغية استخلاص ما

يتأسس عليه منهجه، وما يتغياه من تعرضه لجناب القرآن الكـــريم، فجاء عنوان بحثي هذا " آليات فهم النص القرآني عند الشيخ أمـــين الخولي بين النظرية والتطبيق عرض ونقد"

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة ،

المقدمة: واشتملت على البسملة، والحمدلة، والصلاة على النبي محمد ﷺ، والخطة التي سطرتها للعمل في هذا البحث.

وأما التمهيد: فاشتمل على ترجمة الشيخ أمين الخولي.

وأما الفصل الأول: فقد خصصته لعرض مـــنهج الشـــيخ أمـــين الخولي، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف الشيخ أمين الخولي مـــن أدوات التفســـير، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: موقف الشيخ أمين الخولي مـــن الســـنة النبويـــة المطهرة.

المطلب الثاني: موقف الشيخ أمين الخولي من اللغة العربية.

المطلب الثالث: موقف الشيخ أمين الخولي من النحو.

المطلب الرابع: موقف الشيخ أمين الخولي من البلاغة.

المطلب الخامس: موقف الشيخ أمين الخولي من الأدب.

المبحث الثاني: موقف الشيخ أمين الخولي من التفســـير، وفيـــه مطلبان

المطلب الأول: موقف الشيخ أمين الخولي من التفسير العلمي.

المطلب الثاني : منهج الشيخ أمين الخولي من التجديد في التفسير.

المبحث الثالث: أصول منهج الشيخ أمين الخولي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المسلمات التي انطلق منها الشيخ أمين الخولي والغايات التي يتغياها.

المطلب الثاني: النظريات العلمية التي اعتنقها الشيخ أمين الخولي والرموز الفكرية التي تأثر بها.

الفصل الثاني: مناقشة الشيخ أمين الخولي في دعوته التجديدية، إقرار حقائق وتفنيد مزاعم ، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: مناقشة الشيخ أمين الخولي في المسلمات التي انطلق منها.

المبحث الثاني: مناقشة الشيخ أمين الخولي في النظريات التي احتكم إليها.

المبحث الثالث: مناقشة الشيخ أمين الخولي في موقفه من أدوات التفسير.

المبحث الرابع: مناقشة الشيخ أمين الخولي في موقفه من التفسير.

المبحث الخامس: مناقشة الشيخ أمين الخولي في إنتاجه العلمي الذي أنتجه من خلال مشروعه التجديدي ومعرفة ما إذا كان هذا الإنتاج موافقا لمبادئ المشروع ومقدماته أولا ؟

المبحث السادس: إطلالة على موقف الشيخ أمين الخولي في خلال حياته مع تلاميذه، وحملة أفكاره، ونصرته لهم، وموقف المجتمع العلمي منه ومن تلاميذه. الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث والتوصيات التي يتغياها٠

التمهيد

في ترجمة الشيخ أمين الخولي

قبل أن نخوض في غمار هذا البحث يجدر أن نقف على ترجمة الشيخ أمين الخولي فنقول وبالله التوفيق:

مولده و وفاته:

ولد الشيخ أمين الخولي في قرية شوشاي، مركز أشمون، محافظة المنوفية، في أول مايو ١٨٩٥م ، من والد مزارع ، يدعى إبراهيم عبد الباقي عامر حسين يوسف الخولي، و أم تدعى فاطمة بنت الشيخ علي عامر الخولي، فوالده ابن عم والدته.

وتوفي بعد ظهر الأربعاء التاسع من شهر مارس ١٩٦٦م وعاد جسده إلى قريته شوشاي .

نشأته وتدرجه في سلك الحياة العلمية:

أرسل في السابعة من عمره إلى جده لأمه بالقاهرة للتعلم، أرادت الأسرة أن توجهه إلى الأزهر ولكن شاءت إرادة الله تعالى أن يدفعوا به إلى مدرسة مدنية، وذلك لصغر سنه، أو كانت مرحلة أولى في حياته بين التعليم الأولي والابتدائي ثم انتقل إلى مدرسة القيسوني، ثم إلى مدرسة المحروسة بالقاهرة، وآن أوان التحاقه بالأزهر إلا أنه أبى ذلك واحتال على الدخول لمدرسة عثمان باشا ماهر، فأمضى فيها ثلاث سنوات وكان سنة التخرج ثاني الناجحين، ثم التحق في الخامسة عشرة من عمره وخمسة أشهر وستة أيام

بمدرسة القضاء الشرعي فأتم الدراسة في قسميها الابتدائي والعالي بتفوق، ثم عين مدرساً بنفس المدرسة سنة ١٩٢٠م.

ثم صدر مرسوم ملكي بتعيين أئمة السفارات الأربع المصرية المنشأة في لندن وباريس وواشنطن وروما، فعين أمين الخولي بسفارة روما وبقى في إيطاليا عامين أجاد فيهما الإيطالية، ثم نقل إلى مفوضية مصر في برلين عام ١٩٢٦ إثر أزمة دبلوماسية أثارها فتعلم الالمانية، وجعل منها والايطالية وسيلة إلى المعرفة الأجنبية، ثم لما ألغيت وظيفة الإمامة من السفارات والمفوضيات عاد إلى مصر ١٩٢٧ واستأنف عمله بمدرسة القضاء الشرعي.

وفي عام ١٩٢٨ أغلقت مدرسة القضاء الشرعي فانتقل إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب وعين مدرساً، ثم أستاذاً مساعداً ١٩٣٧، ثم أستاذا لكرسي الأدب العربي عام ١٩٤٣، ، ثم وكيلاً للكلية في ١٩٤٦/٥/١٣.

وفي عام ١٩٥٣ احتدمت الخلافات في الكلية فأدت إلى تشتيت بعض أعضاء هيئة التدريس فعين أمين الخولي مستشاراً فنياً لدار الكتب المصرية ، ثم مديراً عاماً للثقافة إلى أن أتم الخدمة في أول مايو ١٩٥٥م وأحيل إلى التقاعد.

– ولا ننسى أنه في أثناء عمله بالكلية (الآداب) انتدب للتدريس في كلية الحقوق بالجامعة المصرية ، وفي كلية أصول الدين بالأزهر الشريف، وكلية الآداب جامعة الإسكندرية سنة إنشائها، ومعهد فن التمثيل العربي والموسيقى المسرحية، ومعهد الدراسات العليا، وعين عضواً في مجلس كلية أصول الدين والمجلس الأعلى لدار الكتب.

شغفه بالعلم:

كان الخولي مشغوفاً بالمطالعة، قرأ ما وجده في مكتبة جده من كتب التاريخ، مثل كتاب أحمد زيني دحلان في التاريخ العام، والسيرة للشيخ شاكر، وكتب الشعر، كالجوهر النفيس في أشعار محمد بن إدريس، وأكثر التردد على دار الكتب المصرية، حتى إن بوابها كان كثيراً ما يمنعه لصغر سنه، ثم انتقل إلى ميدان الشراء فاختار ما رخص من الكتب مثل القصص الشعبية، التي كان الواحد منها يباع بقرش أو قرشين، واتخذ من كتبي متجول يحمل أسفاره إلى المدرسة أثناء الفسحة عميلاً له، على حد كلام صديقه السنهوري عنه. ولعلنا إن وقفنا على الخبر التالي نعرف كيف كان شغف الشيخ بالقراءة قال الخولي "كان ثمت في مدرسة القضاء إعلان (ممنوع القراءة بعد الغداء) ورآني الناظر في الفناء أقرأ في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري فسار في هدوء حتى أصبح إلى جانبي وقال: ألم تر الإعلان؛ فقلت: قبل أن تطلب إلي ألا اقرأ أغلق المكتبة، فطلب إزالة الإعلان في الحال".

– ولا أدل على تقديسه للقراءة والعلم من كتابته على الحجرة التي كان يسكنها في بيت جده بخط بارز (هنا دواء النفوس) وتسميته لحجرة المكتبة في بيته بالمعبد.

زواجه:

تزوج الشيخ أمين الخولي من ثلاث نسوة الأولى: بنت عمه التي تربت معه في بيتهم، والثانية: ناظرة مدرسة خواند بركة والتي تزوجها في أكتوبر ١٩٢٢ بعد ثماني سنوات من قصة حب طويلة.

والثالثة كانت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) التي تزوجها عن حب اختلط فيه الإعجاب البشري بالإعجاب الفكري، والذي حدا بالزوجة بعد ذلك أن تكون أبرز ممثلي زوجها في التفسير الأدبي أو البياني.

*** أراء معاصريه فيه:**

أثنى على الشيخ أمين الخولي الكثير من تلاميذه ومعاصريه وفي السطور الآتية شذرات من هذا:-

- وصفه صديق عمره الشيخ فرج السنهوري فقال "كان رجلاً كامل الرجولة كامل المروءة".

- وقال عنه تلميذه سامي داود "عندما عرفناه – لثلاثين عاماً – لم نعرف أستاذاً نتلقى عليه العلم وإنما عرفنا فيه ما هو أشمل وأكبر، عرفنا فيه أباً، ورائداً، وقائداً، ومثلاً أعلى يشدنا إليه، علّم تلاميذه أن يؤمنوا بالإنسان وأن يؤمنوا بخالق الإنسان.

- قال تلميذه ماهر شفيق فريد عنه "كان عظيماً في إيمانه بكرامة الإنسان من حيث هو إنسان وفي رفضه كل ألوان المذلة والخضوع".

- ووصف السنهوري فكره فقال" كان جبار العقل، عميق الفكر، حلو المنطق، قوي الحجة، رصين الكلام، وكان غزير العلم، وفي أدب عظيم، وكان أمة وحده".

ولعه بالتجديد حتى في ملابسه:

إلتزم الشيخ أمين الخولي بالزي الأزهري ، إلا أنه أجرى عليه تعديلاً، يجعله مسايراً لمقتضيات عصره، فارتدى فوق رأسه طاقية بدلاً من الطربوش الأزهري، علل تلميذه عبدالحميد يونس هذا الالتزام بأنه كان يرى أن الزي ليس مظهراً خارجياً فحسب، ولكنه جزء لا يتجزء من شخصية الإنسان وسلوكه، وما أكثر ما كان يمتعض عندما كان يتذكر أننا في مصر بلا شعار وطني في الزي.

واستدل تلميذه عبدالكريم غلاب من هذا التشبث بالزي أنه تحقيق لمعنى الثورة في نفسه، وأسلوبٌ لبثها في مريديه.

أمين الخولي مصري ثائر:

قال سامي داود عن أستاذه أمين الخولي "كان يؤمن بمصر إيمانه بكل الحقائق الخالدة، ويعتد بالمصرية اعتداداً لا يقوم على التعصب ولكن على المعرفة، ويعلم تلاميذه أن يبحثوا عن أنفسهم في جذورهم العميقة بأرض مصر.

ومن صور مشاعره الفياضة بالخيرية اختار موضوع بحث التخرج من مدرسة القضاء الشرعي سنة ١٩١٧ "الجندية الإسلامية ونظمها" ثم بعد عشرين سنة ويزيد وكل إلى صديقه محمد عبد الصمد صاحب مدارس رقي المعارف بشبرا أن يطبع هذا البحث وينشره بأثمان اعتبارية راصداً ريعه لشراء طائرة تهدى إلى الجيش المصري. ولكن حالت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ من تحقيق مراده.

أمين الخولي الأستاذ الجامعي:

لم يكن الخولي أستاذاً تقليدياً، وإنما كان مختلفاً فكانت حلقة درسه أشبه بمصنع فكري، فلا يدخل الطلاب لكي يتعلموا العلم ولكن لكي يتعلموا كيف يفكرون؟ وكيف يناقشون؟ وكيف يبتكرون؟ وكيف يبحثون؟

قال د. عبدالحميد يونس: أنهم كانوا يقولون له: إننا – والحياة من حولنا – أحوج ما نكون إلى تسجيل آرائه وأحكامه وتأصيل مناهجه في كتاب تفيد منه الأجيال التي تكر بعدنا فكان يجيب: أنا مثل سقراط أعيش في تلاميذي أكثر مما أعيش في كتاب.

أمين الخولي وولعه بالجمعيات الفكرية

منذ صباه وهو في خضم الشوق إلى إنشاء الجمعيات الفكرية:

– اشترك مع زملائه في مدرسة القضاء الشرعي ما بين ١٩١٥/١٩١٧ في إنشاء جمعية إخوان الصفا واشتغلوا بالمسائل الأدبية والفنية، وتعلم اللغة الأجنبية بمدرسة فرنسية بباب اللوق بالقاهرة، وكانوا يجتمعون في بيت أحدهم أسبوعياً، فيمتد النقاش بينهم من الظهر إلى المساء.

– شارك مع سلامة موسى وجماعة آخرين في تأسيس جمعية المصري للمصري الوطنية الأهداف.

– كان عضواً بجمعية الشبان المسلمين.

– أنشأ جمعية الأمناء من عدد من تلاميذه في قسم اللغة العربية، وكان لها اجتماع دوري كل يوم أحد، وعقد أول اجتماع لها

سنة ١٩٤٤ واستمرت (٢٢) عاماً، إلى أن أوقفت نشاطها، وسمى الأمناء أنفسهم (مدرسة الفن والحياة).

– كون جمعية (جماعة حياة القرية) لإصلاح قرية شوشاي، لتكون خطوة لإصلاح قرى مصر جميعها.

أمين الخولي والمسرح :

عرف أمين الخولي طريقه إلى المسرح فاستهل مسرحياته بمسرحية "أسيرة عمورية" التي مثلتها جمعية إخوان الصفا في نادي مدرسة القضاء الشرعي نهاراً بدون ملابس المسرح، وعمل مسرحية الراهب المتنكر والتي تناولت تأثير الحضارة الإسلامية على أوربا عن طريق الأندلس، ومسرحية (جريمة الآباء) التي تمثل مأساة اجتماعية تدافع عن المرأة وتكشف ما تتعرض له من اضطهاد في بيت أبيها وزوجها، ومسرحية (ابن العمدة) التي تتحدث في ذات الموضوع وتبين فساد المسئولين في المدن والقرى، وتنشد الأمل في نشر التعليم.

أمين الخولي والصحافة:

عرف أمين الخولي طريقه إلى الصحافة منذ الصغر، فكتب في العديد من المجلات مثل الهلال، والمقتطف ١٩٣٩ ،والعلم المصري، والرسالة ١٩٣٣ ، ومجلة كلية الآداب، والعربي، والسياسة الأسبوعية.

ومن أبرز كتاباته بحث "شخصية مصر في التاريخ" وهو يعد صرخة في وجه القائلين بأن مصر كانت مستعبدة طوال تاريخها منذ سقوط أسرات الفراعنة نشرها في مجلة ""Deutch Magazine التي كانت تصدر بالألمانية والإنجليزية والأسبانية.

ورأس الخولي تحرير مجلتين: الأولى مجلة القضاء الشرعي ما بين سنتي ١٩٤٠-١٩٤٣والثانية مجلة الأدب التي أصدرها سنة ١٩٥٦ ومكث عشر سنوات ينفق عليها من ماله الخاص، لأنها لم يكن لها مال ذو بال طوال هذه المدة.

مؤلفات أمين الخولي:

ترك الخولي العديد من المؤلفات التي بث فيها فكره، وسطر فيها دعوته التجديدية التي سوف تتضح من خلال معايشتنا له في هذا البحث، وهاكم ثبت بمؤلفاته :

١- ابن العمدة (مسرحية).

٢- الاجتهاد في النحو العربي: بحث أرسل إلى مؤتمر المستشرقين الدولي المنعقد في إستانبول عام ١٩٥١م.

٣- الإسلام بعقل اليوم ولسان اليوم: محاضرات لطلاب الدراسات بالمعاهد العليا ولم يطبعها.

٤- أصول أسيرة عمورية (مسرحية)١٩١٣م.

٥- البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها: بحث ألقاه في الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة ١٦ مايو ١٩٣١م.

٦- البلاغة وعلم النفس: بحث بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٣٩م.

٧- تاريخ الملل والنحل: محاضرات ألقاها على طلبة كلية أصول الدين سنة ١٩٣٥م.

٨- التفسير: إحدى المواد التي تكلم عنها وكتبت في دائرة المعارف العربية.

٩- جريمة الآباء (مسرحية).

١٠- الجندية الإسلامية ونظمها: بحث قدمه إلى مدرسة القضاء الشرعي سنة ١٩١٧م ثم طبعه سنة ١٩٦٠ م تحت عنوان (الجندية والسلم: واقع ومثال).

١١- الحياة الدينية في مصر: بحث ضمن كتاب تاريخ الحضارة المصرية.

١٢- الراهب المتنكر (مسرحية) ١٩٧١م.

١٣- رأي في أبي العلاء: بحث نشرته جماعة الكتاب بمناسبة العيد الألفي لميلاد أبي العلاء المعري سنة ١٩٤٤م/١٣٦٣هـ.

١٤- رسالة في أدب البحث والمناظرة: محاضرات لطلبة المعاهد العليا (لم تطبع).

١٥- رسالة في الأدب العربي وتاريخه .

١٦- رسالة في تاريخ العقيدة الإسلامية: محاضرات ألقاها (لم تطبع).

١٧- رسالة في السياحات الإسلامية: بحث تقدم به إلى مدرسة القضاء الشرعي في العام الجامعي ١٩١٥م/ ١٩١٦م، نشر جزء منه في الهلال ع ٤ سنة ٣ في ١٩٢٢/١/١م.

١٨- سفير الرشيد (الانتقام) مسرحية.

١٩- صلة الإسلام بإصلاح المسيحية: بحث قدم إلى مؤتمر تاريخ الأديان الدولي السادس ببروكسل ١٩٣٥ م وطبعه الأزهر.

٢٠- مالك بن أنس: طبع عيسى الحلبي ١٩٥١م.

٢١- المجددون في الإسلام: دار المعرفة ١٩٦٥م.

٢٢- المدينة العربية في صقلية: مجلة المقتطف ١٩٢٣ م فبراير وأبريل.

٢٣- مشكلات حياتنا اللغوية: نشر دار المعرفة ١٩٥٨م.

٢٤- معرفة تاريخ البلاغة: مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول عدد ١ مجلد ٢ سنة ١٩٤٣ م.

٢٥- المغني للقاضي عبد الجبار: تحقيق الجزء ١٦: مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٠م.

٢٦- تاريخ البلاغة بين يدي تجديدها: محاضرات لطلبة كلية الآداب ١٩٣٠م.

٢٧- من روح التاريخ: صلات بين النيل والفولجا: نشر دار المعرفة ١٩٦٤م.

٢٨- من هدي القرآن في أموالهم: دار الهنا ١٩٥٢م. من هدي القرآن في الحكم: دار الهنا ١٩٥٢م. من هدي القرآن: القادة والرسل: دار الهنا ١٩٥٢م. من هدي القرآن في رمضان بدون.

٢٩- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب: نشر دار المعرفة ١٩٦١م.

٣٠- منهج تفكير الجاحظ: بحث ألقيت خلاصته في أسبوع الجاحظ الذي نظمته كلية الآداب بالجمعية الجغرافية الوطنية في مارس ١٩٣٧م.

٣١- نثر الأوزاعي: أشار إليه كتاب (مالك) ص ٨٠١ (مفقود) .

٣٢- هذا النحو: محاضرات ألقيت خلاصتها في الجمعية الجغرافية ١٩٤٣/٤/٨م.

٣٣- علم النفس الأدبي: بحث نشر في مجلة علم النفس يونيو ١٩٤٢م.

٣٤- فن القول.محاضرات في معهد الدراسات العليا: مطبعة مصطفى الحلبي ١٩٤٧م.

٣٥- في الأخلاق: محاضرات لطلاب الأزهر (لم تطبع).

٣٦- في الأدب المصري: مطبعة الاعتماد ١٩٤٣م.

٣٧- كناش في الفلسفة وتاريخها: محاضرات ألقاها على طلبة الأزهر ١٩٣٤م.

٣٨- بعض مواد أضافها إلى الترجمة العربية لدائرة المعارف الإسلامية وهي التفسير- السلام- السيرة- الصالح- الصحيح- الصلاة- الطلاق- القرآن .

٣٩- رسالة الأزهر في القرن العشرين طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٥م.

٤٠- رسالة في تعدد الثقافات في مصر وعلاجه طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٥[١].

---

(١) انظر في ترجمة الشيخ أمين الخولي كتاب: الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي ت١٣٩٦،طبعة دار العلم للملايين ،ط ١٥، ٢٠٠٢، ٦١/٢.

الفصل الأول

عرض لمنهج الشيخ أمين الخولي

واشتمل على عدة مباحث:

المبحث الأول

موقف الشيخ أمين الخولي

من أدوات التفسير

من الأدوات اللصيقة بالتفسير والتي لا غنى للمفسر عنها لفهم مراد الله تعالى بحسب طاقته البشرية، علم الحديث، وعلم الاشتقاق، وعلم النحو، وعلوم البلاغة الثلاثة، وعلم الأدب، وهذه العلوم هي التي امتدت إليها يد الشيخ أمين الخولي وقلمه، وذلك إما بالعبث في قواعدها بدعوى التجديد، وإما بإظهار النسبة بينها وبين كتاب الله – تعالى– على غير ما هي عليه في واقع الحال، وفي الصفحات الآتية نقف سويا مع الشيخ أمين الخولي في مواقفه تجاه أدوات التفسير لنرى ماذا يريد منها ؟ هذا ...ويأتي الكلام في هذا الشأن في عدة مطالب:–

المطلب الأول: موقف الشيخ أمين الخولي من السنة النبوية المطهرة:

من مطالعة كتب الشيخ أمين الخولي والتي تحمل منهجه التجديدي الذي حمله للأمة الإسلامية – على حد تعبيره – لم يتضح موقفه التفصيلي من السنة النبوية المطهرة ، كما اتضح موقفه من اللغة العربية مثلا، أو موقفه من البلاغة، وإنما الحاصل أن من يطالع

كتب الشيخ أمين يستطيع أن يتلمس موقفه من السنة النبوية من طرف خفي، وفي السطور الآتية إجمال لموقف الشيخ أمين كما يبدو في كتبه.

أولا:يرى الشيخ أمين الخولي عدم صلاحية السنة النبوية لكل الأوقات، وهذا ما يبدو واضحا من كلامه حيث يقول في بعض كتبه "وهل ترى أن من اليسير اليوم، والصور تتحرك، وتنطق، وتوضح، وتعلم، أن نقول إن التصوير حرام، وأن أشد الناس عذابا المصورون".أهـ

قلت: وهذا الحديث الذي يرى الخولي أنه غير صالح اليوم أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، فماذا يرى الشيخ أمين في الصحيحين البخاري ومسلم، وما موضعهما عنده؟؟[1].

ويقول في موضع آخر عند حديثه عن نظرية التطور، ونعيه على من لم يعملها في مجال اللغة العربية يقول: وننظر اليوم إلى هذا القول الذي سمعت في تكوين اللغة العربية، وأن طريق هذا التكون

---

(١) المجددون في الإسلام، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، صـ٥٩، والحديث أخرجه الإمام أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه الموسوم بالجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه،تحقيق د.مصطفى ديب البغا كتاب الأدب باب ما يجوز الغضب والشدة لأمر الله ٢٧/٨ح ٦١٠٩ ، وأخرجه الإمام مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحه الموسوم بالجامع الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبعة دار إحياء التراث الإسلامي باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة ١٦٦٧/٣ح٢١٠٧

إنما كان هو وضع واضع جعل الآخر أولاً، وتبينت حاجة الأجيال والآباء فدبر لها، ونظم الاختلاف عليها، ننظر في هذا فنشعر شعوراً قوياً بأن في الأمر على هذا البيان مخالفة لطبائع الأشياء، لأن سير الحياة فيما تبين ليس إلا نشوءاً يعقبه ارتقاء، وخالفا يكبر عن سالف، فكيف يكون الأمر في اللغة على عكس هذا، لكن ما يبدو لنا غريباً هكذا ولم يكن في منطق القوم علم هذه الغرابة، فإنك لتعرف أنهم يرون أن الدنيا نصفان قد ذهب خير نصفيها، ويقررون أن الأول قد ذهب بالمعرفة كلها كما ذهب بالخير كله، وأن أفضل القرون قد مضى منذ أكثر من عشرة قرون، فالنظام عندهم ليس نشوءاً وارتقاء، بل هو تنزل وتدهور بعد كمال وفضل، ومن هنا تدرك أن أساس الخلاف فكري جوهري عام يمتد إلى أشياء كثيرة، ولا يقتصر على اللغة، بل يمس النظرة الكبرى في سير الوجود كله لا سير اللغة فقط ! فتأمل[١].

ثانيا: الخولي لا يعول على السنة كثيراً في التفسير، ويكاد يرى أنها لا تعد أداة كاملة للتفسير؛ يتضح ذلك من تصريحه في بعض كتبه بهذا، فنراه عندما يتعرض في كتابه "من هدي القرآن في

---

(١) مشكلات حياتنا اللغوية، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧، صـ٤٠،يشير الخولي إلى حديث "خير القرون قرني....."الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم٤/١٩٦٢ح٢٥٣٣، وأخرجه الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي ت٥١٦، في شرح السنة، تحقيق شعيب الأرنؤوط ،وزهير الشاويش،طبعة المكتب الإسلامي بيروت١٤٠٣)١٩٨٣، ١٤/٦٦

أموالهم" لقول الله تعالى﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾[١] يذكر الخلاف بين المفسرين في ضمير (حبه) حب الله أو حب المال. ويورد استدلال أصحاب الرأي الثاني بالحديث "وأن تصدق وأنت شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر"[٢] يعيب عليهم لجوءهم للحديث، فالقرآن يفسر بعضه بعضاً وهو قول الله تعالى{ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ }[٣].

وبعد، فهذه إطلالة على موقف الشيخ أمين الخولي من السنة النبوية، ظهر في بعض المواضع من كتبه، وسيأتي في الباب الثاني من هذا البحث مناقشته في موقفه هذا والله الموفق

المطلب الثاني: موقف الشيخ أمين الخولي من اللغة العربية.

من مؤلفات الشيخ أمين الخولي كتاب "مشكلات حياتنا اللغوية"والذي ظهر فيه جليا مشروع الشيخ أمين الخولي تجاه اللغة العربية، والذي يطالع هذا الكتاب يظهر له موقف الشيخ أمين الخولي من اللغة العربية، وها أنا أجمل لك هذا الموقف في عدة نقاط،

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٧.

(٢) هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الزكاة باب فضل صدقة الصحيح الشحيح٢/١١٠ح١٤١٩، والإمام مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح ٢/٧١٦ح١٠٣٢

(٣) مشكلات حياتنا اللغوية صـ٣٣: ٣٦، والآية من سورة الإنسان رقم ٨.

مستدلا بما ذكره الشيخ أمين في كتابه هذا ليتضح ماذا يريد الخولي من اللغة العربية:

أولا: بين أمين الخولي أن مشكلات الحياة اللغوية هي أصعب المشكلات غوراً، وأعنفها أثراً، ثم إن أهمها في تقديره الشخصي هي مشكلة (الازدواج اللغوي) التي تجعلنا نحيا ونشعر ونتواصل بلغة يومية، مرنة ، نامية ، متطورة ، مطاوعة، ثم نتعلم ونتدين بلغة مكتوبة محدودة ، غير نامية ، لا تطوع بها الألسنة، وتتعثر فيها الأقلام ، والحلول التي تقدم إلى هذا الأمر غير مجدية ، فمن مقررات دراسية عقيمة ، إلى مراحل تعليمية غير موفقة ، إلى مكافحة أمية تعتبر عملاً صعباً، إلى مدرسين غير موفقين في تدريس علومهم للطلاب، فهم عوام في شرحهم وتدريسهم ، وهم شبه عوام في تأليفهم وعرضهم(١).

ولما كان الحال هو السابق بدأ الخولي في وضع خطة لهذه القضايا وتفصيل المشكلة، فلخص المشكلة اللغوية في عدة نقاط .

أولى مشكلات اللغة العربية هو الجمود الذي يحول بينها وبين الوفاء بضرورات الحياة المتجددة .

ثانيها: أصوات هذه اللغة تنقص بعض أصوات لأصحاب لغات أخرى كالباء الثقيلة والفاء الثقيلة وغيرها حتى تكون اللغة العربية قادرة على الأخذ عن اللغات الأخرى ما عندها من نفع فيها.

---

(١) مشكلات حياتنا اللغوية صـ٨

ثالثها: أصوات اللغة صورت بنقوش كتابية استقرت على طريقة صعبة، تتعدد فيها صور الحروف وتختلف مكانها في الكلمة.

رابع هذه المشكلات أن هذه الكلمات حين ترسم من الحروف، لا يجري رسمها على نظام نطقها، بل تخالف صورتها صوتها مثل يسعى وهدى وغير ذلك .

خامسها: بناء الكلمات من الحروف ليس بناء بمواد ثابتة متماسكة، بل إن الحروف يعتريها من المرض والعلة ما يحول بها لونها، ويغير كيانها، وينكر معالمها من إبدال وتحويل وتصرف وتصريف وغير ذلك.

سادسها: الجمل اللغوية بعد تركيبها يتغير الكلم فيها، ويخالف بعضها بعضاً ، فمنها كلم ثابتة ، ومنها غير ذلك، بل متواثب متنامٍ ، مما يجهد الصغير، ويتعب الكبير وغير ذلك.

سابع هذه المشكلات أن مزاج اللغة الغني وذوقها الجمالي لا ندري كيف نكسبه بيننا ولا كيف ندركه في أسلافنا، وهو لا يجري مع ما نتنسمه من روح العصر في تلك الأرجاء الفنية[١].

ثانيا: يريد الخولي تحرير التفكير من النزعة الغيبية في الحديث عن اللغة العربية[٢]،و يرفض الدندنة على الأنغام اللاهوتية التي

---

(١) مشكلات حياتنا اللغوية صـ٨: ١٢بتصرف واختصار
(٢) مشكلات حياتنا اللغوية صـ٣١

تتردد في جو المجمع اللغوي والتي تفضل اللغة العربية على سائر اللغات[١].

وينقل الخولي كلاما لأنستاس الكرملي فيقول: ونختم هذا الحديث عن كمال العربية بكلمة للسيد اللغوي أنستاس الكرملي في بيان حيلولة هذا القول بالكمال والسمو دون الدرس والبحث إذ يقول: إن الناطقين بالضاد الذين أمعنوا في تدبر لغتهم وتقليبها على مناح ووجوه شتى، ازدروا بكل لسان سواها ظانين أنها فوق كل لغة، ولا يمكن أن يدانيها شيئ من كلام البشر، فكان هذا الاعتزاز داعياً بل ناعياً كل تبحر في معارضتها بسائر اللغى والألسنة[٢]. ثم يقول الخولي: تلك حقيقة جرى بها قلم الرجل، وإن كان في غير ذلك الموطن من مسرفي المفضلين، وإلى هنا ندع حديث التفضيل اللغوي غير مستمسكين بشيئ منه لنصغي في إخلاص لحق صادق وشعور أصيل بالحاجة إلى المنهج المحرر في مواجهة مشكلات حياتنا اللغوية[٣].

ثالثا: يهدم الخولي بنيان علم الوضع على واضعيه، ويرفضه رفضاً جازماً، وينكر أهميته للغة العربية فيقول: إنه علم عقيم، لا يعد إلا ضرباً من الكلام الفلسفي العقلي في المستوى الذي كانوا يتناولون فيه الأمور بالبحث النظري المعتمد أولاً على الاحتمالات الفرضية

---

(١) مشكلات حياتنا اللغوية صـ٧٢

(٢) نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها للأب أنستانس الكرملي صـ١٥٥

(٣) مشكلات حياتنا اللغوية ص٧٩

والصور الذهنية الإمكانية، كذا أبحاثه قليلة لا تؤتي ثمارها – ويورد أبحاثه- وأنه شخصي ونوعي، والشخصي ما وضع لفظ بخصوصه، والنوعي ما وضع لفظ داخل تحت قاعدة كلية كالمشتقات، ثم الوضع تحقيقي وتأويلي... الخ هذه التقسيمات المتداخلة التي لا أهمية لها، والتي تجعل علم الوضع علماً هزيلاً ضامراً لم تشعر الحياة بحاجة إلى نموه[١].

رابعا: يؤمن أمين الخولي إيماناً عميقاً بأن نظرية التطور دخلت اللغة من أوسع أبوابها، حتى دخلت على صوت اللاغي نفسه بعد أن دخلت على اللغة فيقول: ومن التطور الطبيعي المطرد ما يكون من تطور أعضاء النطق عند الإنسان، فأعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين، بل عما كانت عليه عند آبائنا المباشرين، ومن ثم لم يكن بد من أن يحدث في أصوات كل لغة انحراف ما في أثناء انتقالها من السلف إلى الخلف، وفي هذا التطور تتغير أصوات، وتسقط أصوات، وقد أحدث هذا التطور للأصوات انقلاباً كبيراً في علم اللغات فقد كان من أثره انقراض طريقة الإعراب في كثير من اللغات التي كانت تسير عليها كالعربية واللاتينية وما إليهما، مثال ذلك حروف اللين المسماه بالحركات التي تلحق أواخر الكلمات قد انقرضت في جميع اللهجات العامية المتشعبة عن العربية (عاميات مصر- العراق- الشام- فلسطين- الحجاز... الخ) فينطق الآن في هذه اللهجات بجميع الكلمات ساكنة الأواخر[٢].

---

(١) مشكلات حياتنا اللغوية صـ٤٠
(٢) مشكلات حياتنا اللغوية صـ٨٢

ويقول عن تطور اللغة نفسها: لعل أكثر هذه القضايا من غير ما ألفتم سماعة عن العربية وحياتها ما يأتي:

١- أخذت العربية طريقها التطوري في الحياة تمر من دور إلى دور، ومن حال إلى حال، فتتغير تغيراً عاماً شاملاً في أصولها وكلماتها ... وحتى ظهور الإسلام لم تكن قد استقرت على وجه التمام(١).

٢- اللغة العربية التي لم تستقر حتى عهد القرآن على وجه نهائي، كان أزهى عصورها في خلال القرون الأولى بعد الهجرة على رأي.

٣- ظلت العربية عرضة للتطور المطرد في مختلف عناصرها، أصواتها، وقواعدها، ومتنها، ودلالتها(٢).

٤- هذا التطور المطرد يخضع في سيره لقوانين ثابتة، مطردة النتائج، واضحة المعالم، محققة الآثار، فليس في قدرة الأفراد أن يقفوا تطور لغة ما أو يجعلوها تجمد على وضع خاص، واللغة العربية مثل لذلك رغم ما بذل في صيانتاها والاحتفاظ بوحدتها(٣).

---

(١) مشكلات حياتنا اللغوية صـ٨١
(٢) مشكلات حياتنا اللغوية صـ٨٢
(٣) مشكلات حياتنا اللغوية صـ٨٢، ٨٣

٥- ثبات قواميس لهذا التطور يوجب على كل من يحاول إصلاحاً لغوياً أن يعمد قبل كل شيئ إلى دراسة حياة اللغة، ومناهج تطورها، حتى يتميز له الممكن من المستحيل[١].

٦- لن يكون حل لمشكلات حياتنا اللغوية إلا إذا أعملنا نظرية التطور بكل فروعها ومشتملاتها، وطبقناها على اللغة العربية بحذافيرها[٢].

خامسا: الحل عند الخولي لهذه المشكلات اللغوية المعقدة في عدة نقاط رئيسة:-

١- استكمال اللغة، وهو التقريب بين العامية والفصحى، وإنشاء لغة وسط بين اللغتين تكون هي محور بين اللغتين نسعى من خلاله إلى حل هذه المشكلات المعقدة[٣].

٢- الرجوع إلى الرجال الذين كتبوا عن اللغة العربية، وكيفية استكمالها من أمثال أنستانس الكرملي وبرجستراسر، وهم من عنوا بالحديث في هذا الأمر، وربطوا بين التطور وعلم اللغة العربية[٤].

٣- تفعيل دعوة عبد الله العلايلي والذي كتب عن استكمال اللغة، وتفعيل نظرية التطور فيها بأحد تطورين سطر الخولي هذه

---

(١) مشكلات حياتنا اللغوية صـ٨٤
(٢) مشكلات حياتنا اللغوية صـ٨٧
(٣) مشكلات حياتنا اللغوية صـ٩٣
(٤) مشكلات حياتنا اللغوية صـ٩٤

الدعوة فقال: وثمت محاولة أخرى لفكرة التطور نشأت على يد أحد اللبنانيين وهو السيد عبد الله العلايلي، وظهرت في كتابه "مقدمة لدرس لغة العرب" الذي طبع في مصر سنة ١٩٣٨م وهاك شرحاً للفكرة: يرنو العلايلي من فكرته هذه إلى تطور اللغة العربية بأحد تطورين: الأول: التطور المادي، والثاني: التطور الشكلي، فالمادي يخص بناء اللغة وموادها، فكما بدأت أحادية ثم تطورت إلى الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية والسداسية فلو أدركنا ذلك لاستطعنا أن نجعل اللغة تتابع نمائها، وتحقق ما اتجه إليه ارتقاؤها؛ فهو يشرح التكون الارتقائي للعربية، ويبين أدواره بياناً تطورياً فيبين الأدوار المختلفة له، ويفصل الحلقات في الدور الواحد، ويربط بين هذه الأدوار التي يشرحها النشوئيون في ارتقاء الحياة من دور حجرى وبرونزي وحديدي ... الخ. وأما التطور الشكلي فجملته أن العربية كانت أولاً لغة صوتية تقوم على الحروف في بنية كلمها، ثم انتقلت إلى دور آخر فصارت لغة لفظية تقوم على الحركات، ثم صارت تقوم على الألفاظ والحركات[١].

هذا هو موقف الشيخ أمين الخولي من اللغة العربية كما سطرتها يداه أجملتها في خمس نقاط .

---

(١) مشكلات حياتنا اللغوية صـ٩٩

المطلب الثالث: موقف الشيخ أمين الخولي من علم النحو

لم يكن الخولي في نظرته إلى علم النحو بأحسن حالا من نظرته إلى علم اللغة، فقد ارتأى أيضا أن علم النحو يحتاج إلى نظرة تجديدية حتى يؤدي المهمة المنوطة به، وحتى يسهل على الألسنة، وفي السطور الآتية تسليط للضوء على موقف الخولي من علم النحو:-

أولا: ينظر الخولي إلى علم النحو على أنه علم يقبل التجديد، مثل علم أصول الفقه تماماً بتمام، ولذلك يستدل بمن كتب من العلماء في أصول النحو تشبيهاً لهم بمن كتب في علم أصول الفقه(١).

فيذكر أن العلماء قديماً ربطوا أصول النحو بأصول الفقه، بل جمعوها عليها فابن الأنباري ت ٥٧٧ هـ حين يعد علوم الأدب يذكر أنه ألحق بها علم أصول النحو، فيعرف به القياس، وتركيبه، وأقسامه من قياس العلة، وقياس الشبه، وقياس الطرد، إلى غير ذلك من أصول الفقه، والسيوطي المتوفي ٩١١ هـ يكتب الاقتراح في أصول النحو يزعم أنه صنع فيه صنيعاً مخترعاً، وهو ترتيبه له على نحو أصول الفقه.

وليس الأمر واقفاً عند القرن العاشر أو السادس، وإنما هي دعوة قديمة كتب فيها ابن جني في أصول النحو، وفي الخصائص

---

(١) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب للشيخ أمين الخولي، طبعة مكتبة الأسرة ٢٠٠٣، صـ٢٠

فقال "اعلم أن أصحابنا انتزعوا العلل من كتب محمد بن الحسن جمعوها منها بالملاطفة والعلة"(١).

ثانيا: يقيم الخولي بنيانه التجديدي لعلم النحو على أصول فقهية، استمدها من محمد أحمد فرج السنهوري الذي ارتأى تجديد أصول التشريع بخطوات معينة، اقتبسها الخولي منه، وأقام عليها دعواه في التجديد النحوي، وذلك حين بعث إليه بخطاب أراد فيه أن يجتذب منهجه في الفقه ليطبقه في اللغة العربية فقال "أعرف أنكم أعددتم في اللجنة التحضيرية للتشريع الجديد -في الأحوال الشخصية- مذكرات في هذا التشريع، فأرجو أن تتفضلوا ببيان علمي واف عن الدستور الذي اتبعتموه في إختيار الأقوال والآراء الفقهية ولكم الفضل والشكر" فرد عليه السنهوري بأن اللجنة الثلاثية وضعت أصولاً لهذا الأمر وهي:

أن الشريعة جاءت لمصالح العباد، وأن الدين يسر، وأن المشقة تجلب التيسير، وأنه كثيراً ما أخذ المتأخرون بالقول المرجوح تيسيراً على الناس ونظراً لتغير الزمان، لذا سارت اللجنة على النظام الآتي:

١- أن تجمع الآراء من الكتب الفقهية كلها، بل من غير كتب الفقه كالتفسير والسنة، ولا تعتمد على المنصوص فقط، بل على المنصوص، وما يؤخذ منه ومن علله، وعلى القواعد العامة المذهبية، والقواعد التي أقرها جمهور الفقهاء.

---

(١) مناهج تجديد صـ١٥

٢- ألا تتقيد بمذهب معين في مسألة بعينها، بل ينتزع حكم المسألة من مذهبين فأكثر، ولا تتقيد بما نُص على أنه القول الأصح أو الأرجح.

٣- أن تتخير أكثر الأقوال ملائمة للمصلحة العامة مراعاة لما يوافق حاجة الأمة ويساير رقيها الاجتماعي، على ضوء التجارب القضائية وما وقفوا عليه من الشكاوى الحقة.

ثم قال الخولي بعد نقله لهذا الكلام من السنهوري: فإذا ما سمع حديثنا عن هذا النحو من يرى الاتباع خيراً من الابتداع، ومن يحمي قواعد هذا النحو من كل يد متناولة، فهل تراه سيدعي للنحو قدسية دينية ؟ وهل تراه سيجعل تغير النحو عسيراً كتغير الفقه ؟ ويلحق النحو بالفقه في هذا كله مهما تكن مبالغته وتطرفه؟ وَهبه سيفعل هذا كله على بعده فإنا نقول له: إنا لن نطلب في هذا النحو أكثر مما فعل أصحاب الفقه بالفقه، وهو أصل لهذا النحو في تفكير أصحابه..... إلى أن قال: فإن من الحق الذي يقره المحافظ المتبع بل الجامد الراكد أن نتبع تلك القواعد الاجمالية في تهضيب هذا النحو فنقرر:-

١- ملاحظة التيسير والرفق، ولا نقول إن البلوى بالنحو أعم من البلوى في الفقه، وأشمل بل حسبنا أن نساوي بين الفقه والنحو في ذلك.

٢- جمع كل ما يوجد من المذاهب النحوية حيثما وجد، والتوسع في فهمه دون وقوف عند ظاهره.

٣- عدم التقيد بمذهب نحوي واحد في مسألة معينة، وعدم التقيد بالأفصح، والأرجح، أو الأصح.

٤- تخير ما يوافق حاجة الأمة، ويساير رقيها الاجتماعي، على ضوء التجارب العلمية والخبرة التعليمية والشكاوى الحقة من المصاعب اللغوية[١].

ثالثا: يرى الشيخ أمين الخولي أن ثمت نوعان من الاضطرابات التي تقابل علم النحو لابد من التغلب عليهما: اضطراب الإعراب، واضطراب القواعد، ثم يضع تصورا لحل هذين الاضطرابين، وذلك باقتراح بعض التعديلات على هذه القواعد، معتمدا في ذلك على أن كل ما ورد أن القرآن قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية، سواء كان متواتراً أو آحاداً، أو شاذاً. وأن اللغات على إختلافها كلها حجة، ألا ترى إلى إعمال ما استعمل في لغة الحجاز وإهمالها في لغة تميم، وكل منهما يقبله القياس. وأن استعمال ما هو أقوى وأشيع هو الواجب، ومع ذلك لو استعمل الإنسان الأضعف لم يكن مخطئا لكلام العرب، فإن الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ، ولكنه يكون مخطئا لأجود اللغتين، فان احتاج لذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول منه غير منكر عليه[٢].

رابعا: يقترح الخولي العديد من القواعد النحوية التي تقضي في نظره على اضطراب الإعراب فيورد بعض قواعد النحو ويوضح ما فيها من اضطراب ثم يورد الحل في نظره فيقول:

١- الأسماء الخمسة أو الستة المشهور إعرابها بالأحرف، وهذا الإعراب يختلف عن الإعراب بالحركات، وننظر بعد ذلك في

---

(١) مناهج تجديد صـ ١٧: ١٩
(٢) مناهج تجديد صـ٣٤

لغة الحياة اليومية فنجد أن ثلاثتها الأولى (أب – أخ – حم) ينطق الأولان منها بالواو، ويجعل الحم مقصوراً على الألف دائماً، فلا نجد هذا الصنيع غريباً على اللغة العربية، إذ ينقل من قراءات القرآن ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ (١).

قال الزمخشري :" ويؤيد ذلك قراءة من قرأ، يدا أبو لهب كما قيل عليَّ بن أبو طالب"(٢)، وكل قراءة حجة كما سمعنا، فللمسألة أصل ثابت يجعلني أجرؤ على فرض أن ما ننطقه اليوم في لغة الحياة له أصل عربي.

ثم يذكر الخولي كلاماً من هذا القبيل حول إعراب الأسماء الخمسة والاختلاف فيها إلى أن يقول:أما أنا فحسبي هنا في هذه الأسماء أن تلزم الألف كالمثنى فتقل الأقسام(٣).

---

(١) سورة المسد الآية ١. كما يشير الخولي هنا إلى قول ابن خالويه في سرد القراءات الواردة في هذه الآية الكريمة : قوله تعالى: "إِنْ هذانِ لساحِران" أجمع القراء على تشديد نون «إنّ» إلّا (ابن كثير) و(حفصا) عن (عاصم) فإنهما خفّفاها. وأجمعوا على لفظ الألف في قوله: (هذان) إلا (أبا عمرو) فإنه قرأها بالياء. وأجمعوا على تخفيف النون في التثنية إلّا ابن كثير فإنه شدّدها. انظر الحجة في القراءات السبع للحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ) د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب) جامعة الكويت نشر دار الشروق – بيروت طبعة٤، ١٤٠١ هـ ص٢٤٢.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ٤،١٤٠٧/٨١٤.

(٣) مناهج تجديد صـ٣٦

٢- المثنى وإعرابه حيث يعرب بحرفيه الألف والياء، وقد برم به المحدثون الذين حاولو أن يصلوا في هذا الإعراب إلى أصول تطرد فقالوا "إن باب المثنى في العربية غريب" ونحن نعرف- مع هذا أنه قد قرئ في القرآن الكريم ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ﴾[١]، على أنه مثنى بصورة المقصور إلى أن قال: وأحسب أننا لو رجحنا القصر في الأسماء الخمسة، ثم رجحناه في المثنى نريح ونستريح، وأصولهم وقواعدهم تعطي هذا كما عرفنا في سهولة وقرب[٢].

٣- جمع المذكر السالم وما على صورته، وهو يعرب بحرفيه الواو والياء، لكنا مع هذا نقرأ في متون النحو المشهورة غير هذا من إعرابه فيقول الأشموني[٣]: إن مجيئ الجمع مثل (حين)- عند قوم من النحاة -منهم الفراء- يطرد في جمع المذكر السالم، فيكون معرباً بالحركات الظاهرة على النون مع لزوم الياء ولزوم النون فلا تسقط للإضافة..... إلى أن قال الخولي: فهلَّ تجيزون أن نجري جمع المذكر السالم في تعليمنا النحو على هذه الياء التي بابها أوسع من باب الواو فنجعله بالياء في كل حين، ونلزمه مع ذلك فتح النون تركيباً للغات أو المذاهب؛ إن رأيتم ذلك فيها وإلا فيكفي في اليسر أن

---

(١) سورة طه الآية ٦٣.

(٢) مناهج تجديد صـــ٣٧

(٣) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك للعلامة نور الدين أبي الحسن بن محمد بن عيسى الأشموني ، طبعة دار الكتب العلمية بيـــروت ١٤١٩=١٩٩٨، ١/٦٤.

يكون بالياء دائماً كما نعرفه، وأن يعرب بالحركات على النون[١].

٤- ما لا ينصرف وهو كما نعرف يجر بالفتحة، ويجهد في تعليله من غير طائل، ثم هم يجيزون صرف الممنوع من الاختيار رعاية للتناسب واتساق اللفظ، وقد قرئ في القرآن الكريم ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا﴾ [٢]، إلى أن يقول الخولي: أين أنتم من لغة الشعراء -على اعتبار جواز ذلك في الشعر- ترحمون بها صغاركم وكباركم أيضاً[٣].

---

(١) مناهج تجديد صـــ٣٨

(٢) سورة الإنسان الآية٤. كمايشير الشيخ أمين الخولي هنا إلـــى مـــا قاله الإمام أبو بكر بن مجاهد عند قـــوْل الله تعـــالى {إِنَّـــا أَعْتَـــدْنَا لِلْكَافِرِينَ سلاسل وأغلالا وسعيرا} حيث قال: قَرَأَ ابْن كثير / سلسل / بِغَيْر أَلف وصل أو وقف . هَذِه رِوَايَة قنبل

وحدثنى ابْن الجهم عَن خلف والهيثم عَن عبيد عَن شبْل عَن ابْـــن كثير / سلسلا / منونة ، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرو / سلسل / غيـــر منـــون ووقف بِأَلف سلسلا ، وَقَالَ الحلوانى عَن أبى معمـــر عَـــن عبـــد الْوَارِث كَانَ أَبُو عَمْرو يسْتَحبّ أَن يسكت عِنْدهَا ولَا يَجْعَلهَا مثـــل الَّتِى فى الْأَحْزَاب لِأَنَّهَا ليست بِآخر آيَة ، وَقَرَأَ ابْن عَامر وَحَمْزَة / سلسل / بِغَيْر تَنْوِين ، ووقف حَمْزَة بِغَيْر أَلف ، وَقَرَأَ نَافِع وَعَاصِم فى رِوَايَة أَبى بكر والكسائى / سلسلا / منونة ، وروى حَفْص عَن عَاصِم أَنه كَانَ لَا ينون إِذا وصل وَيَقـــف بِالْـــأَلف. الســـبعة فـــي القراءات لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبي بكر بن مجاهد البغدادي ، ت ٣٢٤هـــ ،تحقيق شوقي ضيف نشر دار المعـــارف الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـــ .

(٣) مناهج تجديد صـــ٤٠

٥- الإسم المنقوص واختلاف إعرابه كظهور النصب على يائه، ومن النحاة من يسكن ياء المنقوص في النصب أيضاً كما في قراءة ﴿ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ [١] فقد صح أن نستعمل المنقوص دون "أل" بغير ياء في الأحوال كلها ومع "أل" لا تظهر كذلك على يائه حركة في الأحوال كلها فيكون اختزالاً مريحاً وإعراباً غير مضطرب، ويستريح المتعلم من المنقوص وتحريكه كما استراح من المقصور[٢].

٦- المضارع المعتل الآخر، والذي يحذف آخره في الجزم وفي بعض لغة العرب إبقاؤها مع الجازم وقد قرئ في القرآن الكريم ﴿ لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ [٣] ... حتى يقول الخولي "تلك نواح من علاج صعوبات واضطرابات الإعراب أضعها بين يدي الباحثين الصادقي الرغبة في جعل اللغة مادة للتفاهم الحيوي" [٤].

---

(١) سورة المائدة الآية٨٩.

(٢) مناهج تجديد صـــ٤١

(٣) سورة طه الآية٧٧.كما يشير الخولي هنا إلي قول العلامـــة ابـــن جرير الطبري في التفسير: وَلَوْ نَوَى بِقَوْلِهِ: {وَلَا تَخْشَى} الْجَـــزْمَ، وَفِيهِ الْيَاءُ، كَانَ جَائِزًا، كَمَا قَالَ الرَّاجِزُ: هُزِّي إِلَيْكِ الْجِذْعَ يَجْنِيكِ الْجَنَى. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري ت ٣١٠هـــ ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الدكتور عبد السند حسن يمامة ، طبعة دار هجر للطباعة والنشر والتوزيـــع والإعـــلان ، الطبعـــة الأولى، ١٤٢٢ هـــ) ٢٠٠١ م ، ١٢٢/١٦.

(٤) مناهج تجديد صـــ٤٣

٧-يقترح الخولي في تأنيث مذكر الحيوان ما يأتي:-

- كل ما لا علامة للتأنيث فيه من أسماء الحيوان يصح تذكيره، وإذا أردت تأنيثه قيل أنثى كذا.

- وكل ما فيه علامة التأنيث من أسماء الحيوان يصح تأنيثه، وإذا أريد مذكره قيل ذكر كذا إن لم يوجد له لفظ خاص، ففي الأول تقول أنثى الخروف، وفي الثاني تقول ذكر البقرة(١).

٨- يقترح الخولي حلا لقضية تذكير العدد وتأنيثه، والتي ذكر الخولي مدى صعوبتها على المتخصصين فضلاً عن العوام، وذلك في في ثلاث نقاط وهي:-

أ- صعوبة مخالفة العدد لمعدوده تزول بتقديم المعدود ولا تحتاج من المجمع العلمي للغة العربية إلا إلى اللفت اليسير إليها.

ب- صعوبة مخالفة العدد لمعدوده تزول أيضا بذكر لفظ (عدد) قبل الرقم المذكور ، ووضع (من) قبل المعدود ، تقول (عدد ثلاثة من النساء)(٢).

ت- يمكن تثبيت الأعداد مؤنثة الألفاظ، ويمكن تمييزها مذكراً أو مؤنثاً حسب رأي المجمع في كل عدد من الأعداد(٣).

---

(١) دراسات لغوية للشيخ أمين الخولي طبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٦، صـ٦٧

(٢) دراسات لغوية صـ٣٨

(٣) دراسات لغوية صـ٣٩

خامسا: كما يرى الخولي أن اضطراب القواعد هو الصعوبة الثانية التي تواجه اللغة العربية، وأن الحل في ذلك هو معالجة اضطراب القواعد فيقول: إذ إن أساس القاعدة الضابطة هو الإطراد والعموم الذي يهون به عن الذهن تمثل الأصل الشامل تمثلاً يرجع إليه في التطبيق والاستعمال، فإذا ما كانت القاعدة ذات شعب وصور ثم ذات خلاف وآراء، فقد فقدت صفاتها في الضبط الجامع، وانتشر الأمر، واللغات كثيرة القواعد، ولغتنا العربية فضلاً عما لها من هذه الكثرة في القواعد تزيد على ذلك بما فيها من اضطراب القاعدة في الكلمة الواحدة أو التعبير الواحد، لتعدد الصور والمذاهب والخلافات، وحسبنا مثلاً لذلك حرف "لم" وهي شهيرة في عمل الجزم الخاص بالأفعال، إلا أنها أحياناً لا تجزم حملاً لها على "ما" أو "لا" ثم هي حينا تنصب في لغة ويقرأ في القرآن { أَلَمْ نَشْرَحْ }[1] إلى أن قال: وأرجو أن نعالج مثل هذا الاضطراب في القاعدة الذي امتد إلى أبسط كتب النحو بعد ما زلزل كيان اللغة، وفرق أمرها كله، أرجو أن نعالجه كما فعلنا في الصعوبة الأولى، فتلتزم أصول النحاة التي أصلوها هم من أنفسهم[2] ونقوم بأمرين:

١- محاولة الاحتفاظ باطراد القاعدة ما أمكن.

٢- اختيار ما هو أيسر إعراباً، أو أقرب فهماً، أو أكثر رواجاً في حياتنا اللغوية الحاضرة، حينما نريد طرد القاعدة، وإقلال التفريع والأحوال والصور فيها، ثم ضرب الخولي مثالاً

---

(١) سورة الشرح الآية١.
(٢) مناهج تجديد صـ ٤٣

بالإستثناء بخلا وعدا وحاشا، وجواز النصب والجر في المستثنى بهذه الأدوات، فإذا جعلنا المستثنى بها له حكم واحد وهو نصب المستثنى، فإنا بهذا الطرد للقاعدة نضبط الأمر ونيسره...[١].

سادسا: يورد الخولي بعض الشبه التي قد تثار حول إعماله يد التجديد هذه في علم النحو – وكأنه يدرك تماماً ما يفعل وعواقبه الوخيمة على أمة القرآن – فيبين أن أول شبهه هي صلة هؤلاء القوم بالقرآن بعد أن أصلحوا في لغتهم فصارت لغة أخرى فيقول: فلو غيرنا ما نتعلمه بما هو مخالف لقراءة وموافق لأخرى، فما حدث جديد ولا بدع ولا انتقص شيئ ، ولا كانت مشكلة،على أنا نفرض أبعد ما يتصور، وهو أننا أصلحنا لغة الحياة يوماً ما بغير ما قرئ به القرآن ، فهل نكون قد فعلنا ما لم نفعله أو يفعله أصحاب هذا القرآن من قبل؟ ...لا فقد وقع وتم ما هو أخطر من ذلك وأشد ، إذ مضى الهجاء والإملاء العربي يوافق كتابة المصحف (الشريف) حيناً ، ثم تغيرت قواعد الكتابة العربية ، وتقرر ما يخالف رسم المصحف ، فقال الزمخشري منذ مئات السنين "وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بنى عليها الخط والهجاء ، ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ ، وبقاء الحفظ ، وكان اتباع رسم المصحف سنة لا تخالف"[٢]

---

(١) مناهج تجديد صـ٤٥

(٢) الكشاف للزمخشري طبعة محمد مصطفى ١/ ٧٣

كما يقول الخولي: ظهر أن الحديث في هذا الحل للنحو العربي لا يتأثر به القرآن الكريم، فكما نتحدث نحن بلغة ونكتب بأخرى، سيكون الأمر أن تكون لنا لغة حياة ولغة قرآن نفسر بها القرآن، كذلك نرد على من يقول بأن كل ميسر في كل دولة عربية سيكون له نظرة تجديدية، وتتعدد بذلك النظرات التجديدية بأن هذا إنما هو معدود عندنا من تغير اللهجات ، إن هم لم يرضخوا للتجديد في مصر وسارو عليه(١).

وثاني هذه الشبه هي حال التلاميذ، حين يدرسون نصاً أدبياً قديماً ، وكل الصعوبة في ذلك أن نقرأ لهم النص الأدبي بتلك الأوجه الميسرة أو الموحدة من الإعراب ، ولا شيئ مطلقاً في هذا.

وثالث هذه الشبه المتكلمون بالعربية واختلافهم فهم إن لم يتبعونا فيما ذهبنا إليه، فسيكون كلامنا بالنسبة لهم كقراءات القرآن المختلفة، وإن اتبعونا فسيساعد هذا الاتحاد على الاتفاق، لا الافتراق والاختلاف، ثم سيكون من سهولة الفصحى عامل جديد لتوثيق الصلة بينهم.

ثم يقول الخولي: وختاماً: فقد عرضت بهذا أصول الحل العلمي لمشكلتين من مشكلات حياتنا الفصحى، هما اضطراب الإعراب، واضطراب القواعد. وأسأل كل من له شيئ من الأمر أن ينتحي هذا النحو، فإن حالت الحوائل من الأوهام الاجتماعية سألت المستقبل

---

(١) مناهج تجديد صـ٤٨

المرجو الناهض أن ينتحي هذا النحو، تاركاً للغد بعدي أن يسمع الإجابة من شفتي الزمان، وأنتم فالسلام عليكم[١].

المطلب الرابع: موقف الشيخ أمين الخولي من البلاغة

كان للبلاغة العربية حظ من النظرة التجديدية التي رآها أمين الخولي، وأراد أن ينفذ منها إلى دراسة التراث الإسلامي بعين المجدد، سطرها في العديد من أبحاثه حول البلاغة العربية، والتي نالت حظا وفيرا من كتابات أمين الخولي، حيث سطر فيها عدة أبحاث منها: البلاغة بين يدي تجديدها – البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها–البلاغة وعلم النفس– مصر في تاريخ البلاغة،وفيما يأتي إجمال لموقف الشيخ أمين الخولي من البلاغة العربية:–

أولا: يرى الخولي أن علم البلاغة نشأ أول ما نشأ لإظهار إعجاز القرآن الكريم فقط، ثم دخل في علم أصول الفقه وازدهر وانتشر فدخل في الكتابات الأدبية بأكملها[٢].

ثانيا: يرى الخولي عدم الوقوف عند البلاغة القديمة، بل يجب النظر إليها بعين التجديد الأدبي الذي يجب أن يمس الأصول والأسس فيغيرها ، وينفي فيها ويثبت ، ويخالف مقررات كبرى، ويضيف إضافات جديدة حتى نصل بالبلاغة للحياة ، ونمكنها من التأثير فيها، وهذا التجديد يرمي بدوره إلى غرضين : الأول: تسهيل العلوم الأدبية ودراستها. والثاني أن تكون دراسة المواد الأدبية مادة من مواد

---

(١) مناهج تجديد صـ ٤٩

(٢) دراسات إسلامية للشيخ أمين الخولي طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٩٦، ص ـ٨

النهوض الاجتماعي تتصل بمشاعر الأمة، وترضى كرامتها الشخصية، وتساير حاجتها الفنية المتجددة، فيقول: أما عن البلاغة اليوم فيجدر أن ننظر إليها بعين التجديد حتى لا نحصرها فيما حصرت فيه من كونها علماً يمكن معه الوقوف على معرفة الاعجاز فقط، بل لابد لها من تجديد أدبي، وهو يرمي إلى غرضين قريب وبعيد؛ القريب وهو تسهيل دراسة المواد الأدبية، وتوفير ما يبذل فيها من جهد ووقت مع تحقيق المطلوب من دراستها تحقيقاً علمياً، وهذا المنهج يحققه المنهج الصالح، والكتاب المنظم، والمعلم الكفء، وإن استلزم تغييراً في مسائل هذه العلوم أو طريق تناولها وعرضها. أما الغرض البعيد فهو أن تكون دراسة هذه المواد الأدبية مادة من مواد النهوض الاجتماعي، تتصل بمشاعر الأمة، وترضي كرامتها الشخصية، وتساير حاجتها الفنية المتجددة، فتكون اللغة في مصر مثلاً لغة الحياة في ألوانها المختلفة، وأداة التفاهم المرضية في البيت، والعمل، والجامعة، والمسرح، وألا يعيش الناس بلغة ويتعلمون بأخرى، وألا يفكرون بلغة ويدونون أفكارهم بلغة أخرى، ولا يتحقق هذا الغرض إلا بتغيير قد يمس، أو لابد أن يمس الأصول والأسس البعيدة، ويدخر لها العزم والجهد، حتى تصير اللغة ناحية من كيان الأمة[١].

ثالثا: يرى الخولي أنه لا يجب الوقوف بالبلاغة عند فعل الأقدمين ، بل يجب أن نتعدى هذا ليشمل البحث البلاغي اللفظة المفردة ، والجملة، والفقرة ، والعمل الفني كله فيقول: إذا نظرنا إلى

---

(١) دراسات إسلامية ص ١٢

فعل الأقدمين في البلاغة نجدهم قد حصروا دراستها في الجملة وأجزائها ، لا ترى أبحاثاً تزيد على ذلك ، وقدموا بمقدمة في الفصاحة والبلاغة فقط، والعمل الأدبي ليس في الجملة وجزئها لا غير، فتلك لا تعطي إلا معنى أدبياً جزئياً، ووراء ذلك الفقرة المنثورة، والقطعة المنظومة ، ووراء ذلك كله العمل الأدبي الكامل ، وعلى هذا نبدأ البحث البلاغي المستوفي من اللفظة المفردة، ولا نحده بالجملة ، بل نمده إلى الفقرة، والعمل الفني الكامل ، فنبحث في الأسلوب، واختلافه ، وأوجه تفاوته ، ومزايا أنواعه المختلفة، وننظر النظرة الشاملة الجامعة في الأثر الأدبي كله، كما قصر الأقدمون البحث البلاغي على الألفاظ من حيث أدائها للمعاني بالجملة الواحدة، أو الجمل المتصلة في معنى واحد ولم يجاوزوا ذلك، أما المعاني الأدبية والأغراض الفنية التي هي روح الفن القولي، ومظهر عظمة الأديب، وأثر ثقافته وشخصيته فلم ينظروا فيها ، ولابد أن نفرد المعاني بالبحث المستقل بعد بحث الألفاظ مفردة وجملاً وفقراً فنعلم الدارس كيف يوجد هذه المعاني ، وكيف يصححها ، وكيف يرتبها ويعرضها[1].

رابعا: يرى الخولي أن البلاغة تحتاج إلى أن يضم إليها بعض المقدمات الفنية، التي تبرز دور الفن وأهميته، وبعض المقدمات النفسية التي يظهر لها الأثر البالغ في تفسير القرآن الكريم فيقول: نضم إلى البلاغة مقدمة فنية، نعرف الدارسين فيها بمعنى الفن، وطبيعته، ونشأته، وغايته، وأقسامه، متحرين في ذلك بيان الفن

---

(١) دراسات إسلامية ص ــ١٣

القولي بخاصة،كما نضم إلى البلاغة مقدمة نفسية لابد منها مـــا دام شأن الفن الأدبي ما أسلفنا، وما دمنا نريد أن نصل بالبلاغة للحياة ، نعرف الدارس بالقوى الإنسانية ذات الأثر في حياته الأدبية كالوجدان والذوق والخيال ،كما تلم الدراسة دراسة أمهات العواطف التي هـــي مادة المعاني الأدبية ، ومثار الفنون القولية نثراً وشعراً[١].

خامسا: يرى الخولي أهمية الربط بين علم النفس وعلم البلاغـــة جداً، إذ بالمقدمات النفسية نستطيع أن نخلص إلى درر القرآن الكريم وفوائده فيقول: إن توثيق صلة البلاغة بعلم النفس ستهدينا إلى فكرة قديمة جليلة الخطر ، هي منذ أول الدهر خالقـــة البحـــث البلاغـــي ، ومحددة غايته، وموجهة دراسته ، هي قضية إعجاز القرآن [٢].

ويرى أن القول بهذه الصلة بين علم النفس والبلاغة سيصل بنا إلى قول جديد وفهم حديث في إعجاز القرآن الكريم فيقول: "فـــإدراك الإعجاز لا يقوم إلا على إدراك ما استخدمه القـــرآن مـــن ظـــواهر نفسية، ونواميس روحية، أدار عليها بيانه مستدلاً وهاديـــاً ومقنعـــاً ومجادلاً ومثيراً ومهدداً ، فأصح ما يبنى عليه التفسير هو القواعـــد النفسية، فليس يصح أن تعلل عبارة من عباراته، أو يحتج بلفظ مـــن ألفاظه ، أو يستشهد لأسلوب من أساليبه إلا بموقفه كله من النفس ، وبما كشف العلم عن هذا الموقع فبالأمور النفسية فقط يعلل إيجـــازه واطنابه وتوكيده وإشارته .. وما جاوز ذلك فهو الادعاء والتمحل[٣].

---

(١) مناهج تجديد ص ـــ١٤٦، دراسات إسلامية ص ـــ١٤
(٢) مناهج تجديد ص ـــ١٥١
(٣) مناهج تجديد صـــ١٥٤.

كما يرى أن هذا يحوجنا إلى تناول القرآن بتفسير نفساني، يقوم على الإحاطة المستطاعة بما عرف العلم من أسرار حركات النفس البشرية في الميادين التي تناولتها دعاوى القرآن الدينية وجدله الاعتقادي ورياضته للوجدانات والقلوب ... الخ[١].

ويورد الخولي مثالاً لتفسير آية من القرآن الكريم ، خاض المفسرون غمارها ، فما أرسى دعائمها إلا الزمخشري بخاطرة نفسية عنده في التفسير هذه الآية هي قول الله تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[٢]، فقال الزمخشري حلاً لمشكلة هل نزل القرآن بالمعنى أو باللفظ والمعنى ؟ مبيناً أن القرآن نزل على قلب النبي ﷺ قال "ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك ، لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معناها ولا تعيها ، وقد يكون الرجل عارفاً بعدة لغات ، فإذا تكلم بلغته التي لقنها أولاً، ونشأ عليها، وتطبع بها ، لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ، ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت... "[٣].

سادسا:يرى الخولي أن البلاغة لا يجب أن تقسم إلى ثلاثة علوم معاني وبيان وبديع ، فإن هذا تقسيم لا غناء فيه ، ولا قيمة له بعد تجديدها ، وإنما ينبغي أن يطلق عليها فن القول فيقول: إذا فعلنا كل ما سبق تكون البلاغة وتقسيمها إلى معاني وبيان وبديع تقسيم لا

---

(١) مناهج تجديد ص١٦٠.
(٢) سورة الشعراء الآيات١٩٣:١٩٥.
(٣) الكشاف للزمخشري الطبعة الأميرية ٢/ ١٣٢،انظر مناهج تجديد ص١٥٤

غناء فيه ، ولا أساس له ، ولزم أن نضع التقسيم على أساس غير الأول ، فنقتصر على كلمة البلاغة ، ونوفر كلمة الفصاحة ، ونقسم الدرس إلى بلاغة الألفاظ وبلاغة المعاني ، وفي الأولى نبحث عن الألفاظ من حيث أنها أصوات ذات جرس ، ثم من حيث أنها دوال على المعاني مفهمة لها ، ونبحث أيضاً في المفرد والجملة والفقرة والقطعة، ونقسم المعاني بما يناسبها حتى ننتهي إلى دراسة الفنون للقول الأدبي المنظوم والمنثور ، وما به قوام كل فن وحسنه ، متخطين الفنون القديمة من المقامة والرسالة والخطبة إلى الفنون الحديثة من المقالة والقصة[١].

المطلب الخامس: موقف الشيخ أمين الخولي من علم الأدب.

كتب الشيخ أمين الخولي كتابه "في الأدب المصري" سطر فيه دعوته إلى تغيير النظرة التقليدية إلى علم الأدب، وفي السطور الآتية يتضح ما يرنو إليه الخولي من دعوته هذه:-

أولا: الشيخ أمين الخولي يدعو دعوة صريحة إلى إقليمية الأدب فيجعل منه أدباً مصرياً وأدباً عراقياً وأدباً شامياً إلى غير ذلك فيقول: "إن لكل بيئة منفردة مزاياها وخصائصها التي تنفرد بها بين الأقاليم وتلك المزايا والخصائص هلي التي تزجه الحياة الأدبية فيها وتؤثر في سيرها [٢]، ويقول في دعوته إلى الإقليمية: وفي سبيل ذلك (الإقليمية) سأقف عند مكتوبات ومقولات لعلها هينة يسيرة ولكنها

---

(١) دراسات إسلامية لأمين الخولي صـ١٤

(٢) في الأدب المصري لأمين الخولي طبعة الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة سنة ٢٠٠٩، صـ١٦، ٢٠.

الحقيقة المحببة لذاتها والتحري الواجب أمانة للدرس أخذ نفسي بـــه وألتزمه ليكون القول بالإقليمية نزيهاً صحيحاً ما استطعت إلى ذلـــك سبيلاً"[١].

ثانيا: الشيخ أمين الخولي يرفض فكرة تقســـيم الأدب تقســـيماً زمانياً كالعصر الأموي والعباسي والتركي، وإنما يدعو إلى تقســـيمه مكانياً[٢].

ثالثا: الشيخ أمين الخولي ينطلق من البيئة وتأثيرهـــا لتكـــون دعوة إلى هذا الفكر الذي يريد أن يروجه حول الإقليمية[٣].

رابعا:الشيخ أمين الخولي يرفض الدعوة إلى الاعتراف بوحـــدة الثروة العربية كدعوة لعدم إقليمية الأدب[٤].

هذه هي دعوة الخولي التجديدية إلى أقلمـــة الأدب العربـــي ولا يخفى ما في هذه الدعوة من أخطار تظهر إن شاء الله عز وجل فـــي الرد علي هذه الأفكار.

---

(١) المرجع السابق صـــ١٨
(٢) في الأدب المصري صـــ١٥
(٣) المرجع السابق صـــ١٢٤
(٤) المرجع السابق صـــ١٤٢

المبحث الثاني

موقف الشيخ أمين الخولي من التفسير

سبق الحديث عن موقف الشيخ أمين الخولي من أدوات التفسير، وعرفنا كيف كان الشيخ أمين مولعا بالتجديد، وعرضنا نظرته التجديدية التي ارتأى أن يعملها في علوم اللغة العربية من اشتقاق ونحو وبلاغة، ونحن الآن بصدد الحديث عن موقف الشيخ أمين الخولي من التفسير، ونستطيع أن نجمل هذا الموقف في عدة مطالب فنقول:

المطلب الأول: موقف الشيخ أمين الخولي من التفسير العلمي

أولا: يرفض الشيخ أمين الخولي التفسير العلمي للقرآن الكريم، ويعلل ذلك بأن التفسير العلمي لا يعدو إلا أن يكون نظريات، ربما إن صدقت اليوم أن يثبت كذبها غدا فيقول : كيف تؤخذ جوامع الفلك والطب والهندسة والكيمياء من القرآن، وهي جوامع لا يضبطها اليوم أحد إلا تغير ضبطه لها بعد يسير من الزمن أو كثير، وما ضبطه منها القدماء قد تغير عليهم فيما مضى ، ثم تغير تغيراً عظيماً فيما تلا[١].

ثانيا: ينتقد أمين الخولي بعض التفاسير العلمية للقرآن الكريم كتفسير طنطاوي جوهري، ويبين أن مثل هذا ليس له كبير جدوى في مجال التفسير، وينقد في ذلك السيوطي في الإتقان عندما عقد باباً في

---

(١) دراسات إسلامية ص ٣٢

العلوم المستنبطة من القرآن الكريم، والغزالي الذي كتب جواهر القرآن، ومحمد أحمد الاسكندراني صاحب كشف الأسرار النورانية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية، وعبد الله فكري باشا في رسالته حول مقارنة بعض مباحث الهيئة بما ورد في النصوص الشرعية، وعبد الرحمن الكواكبي، ومصطفى صادق الرافعي. ينتقد كل هؤلاء في مؤلفاتهم العلمية، ويسير جنباً إلى جنب مع أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ٩٧٠هـ في حملته في الموافقات على هذا اللون من التفسير(١).

ويرى الخولي رأي الإمام محمد عبده في تقسيمه للتفسير إلى قسم جاف مبعد عن الله وكتابه، وهو ما يقصد به حل الألفاظ، وإعراب الجمل، وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية، وهذا لا يسمى تفسيراً، بل هو ضرب من التمرين في فنون العربية ، والتفسير الذي نطلبه، وهو فهم كتاب الله من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، فهذا هو المقصد الأعلى منه(٢).

---

(١) دراسات إسلامية ص ٢٨ــ ٢٩، الموافقات للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الشاطبي ت٧٩٠ مع شرحه للعلامة الدكتور محمد عبد الله دراز طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر ٢/٧٠.

(٢) دراسات إسلامية ص ٣٦ــ، تفسير المنار لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة

ثالثا: من مسوغات رفض الشيخ أمين للتفسير العلمي، أن القرآن الكريم هو كتاب لهدي الناس جميعاً، ولا يقتصر دوره على إقناع العقليات العلمية، فلهذا من الخير ألا توجه العناية إلى مثل هذا الضرب من التفسير العلمي، لأنه ليس بذي جدوى على القرآن نفسه، والقرآن غني أن يعتز بمثل هذا التكليف الذي يوشك أن يخرج به عن هدفه الإنساني والاجتماعي في إصلاح الحياة، ورياضة النفوس جميعاً على اختلاف حظهم من العلوم الطبيعية والرياضية وما إليها[١].

رابعا: ينبه أمين الخولي دعاة التفسير العلمي للقرآن على أن المطلوب منهم أن يتوجهوا للقرآن الكريم ليدفعوا أي مناقضة بين العلم والدين، حتى لا يكون في كتاب الله تعالى أو في (كتاب الدين) نص صريح يصادم حقيقة علمية، يكشف البحث أنها من نواميس الكون ونظم وجوده، وحسب كتاب الدين بهذا القدر صلاحية للحياة، ومسايرة للعلم، وخلاصة من النقد[٢].

المطلب الثاني: منهج الخولي في تجديد التفسير

يمكن إجمال منهج الشيخ أمين الخولي في نظرته التجديدية للتفسير في النقاط الآتية:-

---

القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م. ٢٢/١.

(١) دراسات إسلامية ص ـ٣٧

(٢) دراسات إسلامية ص ـ٣٣بتصرف يسير

أولا: يصدرالشيخ أمين الخولي منهجاً لتجديد التفسير اليوم، وأول التجديد عنده هو قتل القديم فهماً، ثم السعي إلى دراسة القرآن الكريم دراسة أدبية كما تدرس الأمم المختلفة عيون آداب اللغات المختلفة، ولتلك الدراسة الأدبية أثر عظيم لهذا القرآن، وهي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولاً وفاء بحق هذا الكتاب، ولو لم يقصدوا الاهتداء به، أو الانتفاع بما حوى وشمل(١).

ويقول أيضا: وهذا الدرس الأدبي في ذلك المستوى الفني دون نظر إلى أي اعتبار ديني، هو ما نعتده وتعتده معنا الأمم العربية أصلاً، والعربية اختلاطاً، مقصداً أول، وغرضاً أبعد، يجب أن يسبق كل غرض، ويتقدم كل مقصد، فجملة القول أن التفسير اليوم فيما أفهمه هو الدراسة الأدبية الصحيحة المنهج، الكاملة المناحي، المتسقة التوزيع، والمقصد الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف، غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك، وعليه يتوقف تحقيق كل غرض آخر يقصد إليه. هذه هي نظرتنا إلى التفسير اليوم، وهذا غرضنا منه، وعلى هذا نتقدم لبيان طريقة تناوله ومنهج درسه(٢).

يقول الخولي في بحث كتبه بعنوان "علم النفس الأدبي": اشتغلت مع البلاغة بتفسير القرآن الكريم، وكان الأمر في المنهج التفسيري على مثل ما كان في المنهج البلاغي، فرفضنا صنيع القدماء في فهم النص القرآني لغاية بعينها وراء كونه نصاً أدبياً مهما يكن الرأي في تقديره، فإنه أجل ما عرفت العربية من نصوصها الأدبية، وهو بلا

---

(١) دراسات إسلامية ص ٣٨
(٢) دراسات إسلامية ص ــ٣٨

مراء كتابها الأكبر، وأثرها الخالد، وتغير المنهج كذلك في تفسير القرآن سوراً على ترتيب ما إلى تفسيره موضوعات، وما يعنينا من أمر هذا المنهج إلا رد التفسير إلى الدراسة الأدبية، والأخذ فيه بمناهجها، فكان ذلك إيذاناً بالوصل القوي لهذا التفسير بالدرس النفسي، بل كان على سبيل المثال الأخذ بالتفسير النفسي ما دام هذا القرآن ليس إلا أثراً أدبياً، وطرفة من الفن القولي وهو الفن الذي عرفنا من صلته بعلم النفس، وحاجته إلى علم النفس الأدبي ما أجملنا قبل.

وقد زاولت هذا التفسير النفسي في الدراسات الجامعية للقرآن، وفي غيرها من إذاعات لأغراض حيوية، ومقاصد اجتماعية من هدي القرآن(١).

ثانيا: يسعى الخولي إلى بيان خطأ المفسرين في السابق حينما كانوا يفسرون القرآن الكريم على وفق ترتيب المصحف الشريف بالسورة والآية، وإنما يرى الخولي أن يفسر القرآن على غير هذه الوجهة يقول: إن ترتيب القرآن في المصحف ترك وحدة الموضوع، لم يلتزمها مطلقاً، وقد ترك الترتيب الزمني لظهور الآيات لم يحتفظ به أبداً، ففرق الحديث عن الشيئ الواحد والموضوع الواحد في سياقات مختلفة، وملابسات متعددة، وذلك كله يقضي أن يفسر القرآن موضوعاً موضوعاً، وأن تجمع الآيات الخاصة بالموضوع الواحد جمعاً إحصائياً مستقصياً، ويعرف ترتيبها الزمني ومناسباتها

---

(١) علم النفس الأدبي للشيخ أمين الخولي ،نشر في مجلة علم النفس سنة ١٩٤٢ وطبع ضمن كتاب مناهج تجديد للمؤلف ص ــ٢٥٣

وملابساتها الحافة بها، ثم ينظر فيما بعد لتفسر وتفهم، فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى، وأوثق في تحديده، وليس تفسير القرآن سورة سورة إلا تعرضاً مفرقاً لموضوعات مختلفة تنتظمها السورة الواحدة، ثم يعود المفسر بعد ذلك في السورة الأخرى إلى نفس الموضوعات، فإذا عجل المفسر الحديث عن الموضوع عند أول ورود له فقد تعرض للتفسير الموضوعي، وإن ترك ذلك فقد أخل بوحدة الموضوع(١).

ثالثا: هذا المنهج الأدبي عند أمين الخولي يقتضي نوعين من الدراسة: دراسة حول القرآن، ودراسة القرآن نفسه، فالدراسة الأولى هي ما يتصل بالبيئة المادية والمعنوية التي ظهر فيها القرآن، وعاش، وفيها جمع، وقرئ، وكتب، وحفظ، فالقرآن عربي خالص، والنفاذ إلى مقاصده لا يقوم إلا على التمثيل الكامل والاستشفاف التام لهذه الروح العربية، والمزاج العربي، والذوق العربي ، ومن هنا لزم الدراسة الكاملة للبيئة العربية بكل ما تحويه معنى الكلمة ، وقد أفرد بعض المستشرقين حديثاً هذه الدراسة مثل الألماني "تولدكه" صاحب كتاب "تاريخ القرآن" الذي اشترك في تحقيقه (شفاللي) و(زيمرن) و(برجستراسر) وهذه الأبحاث قد أضافت على تلك الموضوعات ألواناً من العناية- وإن لم تخل من الاتهام- فإنها لن تخلو من روح النقد والتمحيص، التي لابد منها في دراسة هذه الأبحاث، كذلك فعل ذلك الإمام السيوطي في كتابه الإتقان الذي جعله مقدمة لتفسيره مجمع البحرين ومطلع البدرين الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية، وهذه

---

(١) دراسات إسلامية لأمين الخولي صـ٤٠

الدراسة المطلوبة ذات شقين دراسة علوم القرآن، ودراسة بيئة القرآن الكريم .

– أما دراسة القرآن نفسه فهي تبدأ في النظر في المفردات، وبيان تدرج تلك الألفاظ، ودلالتها، وتفاوت هذه الدلالات بين الأجيال بفعل الظواهر النفسية والاجتماعية وعوامل حضارة الأمة، وفهم هذه الألفاظ على ما كانت عليه وقت ظهور حياة تاليها الأول ﷺ، وهذه إحدى الاعتبارات التي تقف في وجه التفسير العلمي، ومعاجمنا لا تسعف هذه الدراسة بحال، فما على المفسر الآن عمله هو البحث عن مدلول الكلمة قديماً، وتقديم الأسبق والأقدم على السابق حتى يطمئن نوعاً ما إلى المقصود من هذه اللفظة قرآنياً. ثم ينظر إلى معاني هذه الكلمة، ويستطردها في القرآن ليرى إذا كان لها معانٍ أخرى مقصودة أم لا[1].

رابعا: يرى الخولي أنه لابد من دراسة التفسير النفسي للقرآن الكريم، الذي يقوم على الإحاطة المستطاعة بما عرف العلم من أسرار حركات النفس البشرية في الميادين التي تناولتها دعاوي القرآن الكريم، وجدله الاعتقادي، ورياضته للوجدانيات والقلوب، واستقلاله القديم، وما اطمأنت إليه وتوارثته عن الأسلاف والأجيال، وتزيينها بما دعا إليه من إيمان ينقض مبرم هذا القديم، ويهدم أصوله، وكيف تلطف القرآن لذلك، وماذا استخدم من حقائق نفسية في هذه المطالب الوجدانية، والمرامي القلبية، وماذا أجدت رعاية

---

(١) دراسات إسلامية ص ــ٤٣: ٤٤

ذلك كله في إنجاح الدعوة ، وإعلاء الكلمة ، فالتفسير النفسي يقوم على أساس وحيد من صلة الفن القولي بالنفس الإنسانية، وأن الفنون على اختلافها ومن بينها الأدب ليست إلا ترجمة لما تجده النفس ، وأن اللمعة النفسية والمعنى القرآني ستكون أحسم لخلاف بعيد الغور كثير الشعب بين المفسرين الذين تكلفوا له البراهين النظرية المنطقية، والأعاريب المختلفة، ومعقد الصناعة النحوية وغير ذلك(١).

خامسا: ينبه الخولي في تناوله للتفسير النفسي على بعض المحاذير التي يجب أن يراعيها من يتناول هذا اللون من التفسير فيقول: وإذا ما كان التفسير النفسي للقرآن إنما هو الفهم النفسي للنص الأدبي، فإن وراء ذلك اعتباراً آخر جدياً ومهماً، نجده في فهم النص الأدبي، والانتفاع به، ولا نجده أو لا نحاول أن نجده في فهم النص القرآني الأدبي وذلك الاعتبار هو "أننا حين نفهم النص القرآني نتبين جوه النفسي بما حوله من ملابسات، وأسباب نزول، ووقائع ، وأحوال للناس والبيئة ، دون أن نعدو ذلك إلى شيئ من فهم نفسي لمصدر النص الذي نسميه في غير القرآن المؤلف أو المتفنن، ومن هنا يكون فهمنا للنص القرآني هو كل ما نبغيه، ولا نتجاوزه إلى شيئ من تاريخ الأدب وحياته لصاحب الكتاب وواضعه، لأنه أفق لا نرنو إليه، ولا تصل حياتنا إلا بآثاره ونتائجه ، على حين أننا في فهم النص الأدبي في غير القرآن، إنما نفهم بذلك الأديب نفسه شاعراً وناثراً ، ،ونتبين بهذا الفهم للأدب والأديب سير الحياة

---

(١) دراسات إسلامية ص ـ٤٥

بالفن، ونصف فعل نواميس الوجود فيه من حيث هو مظهر من مظاهر حياة الجماعة"[١].

سادسا: تأثر الشيخ أمين الخولي بما أورده الإمام محمد عبده من وجوب الاهتمام بعلم الاجتماع في التفسير القرآني فوجدناه يقول: لابد للناظر في القرآن الكريم من النظر في أحوال البشر في أطوارهم، وأدوارهم، ومناشي اختلاف أحوالهم، من قوة، وضعف، وعزة، وذل، والخلاصة أننا إنما عفينا بما يقوم به الفهم الأدبي للقرآن وهو الفهم الذي يتقدم كل استفادة منه، ثم تتلوه بعد ذلك المطالب الأخرى، من هداية الخلق ، أو إصلاح حالهم ، أو التشريع لهم، فهذا كله يجب أن يقوم على أساس وطيد من الدرس الأدبي فيتصل بالخبرة النفسية ، وقد تتطلب المطالب الأخرى بعد ذلك من دراسة علم الاجتماع وغيره[٢].

---

(١) علم النفس الأدبي لأمين الخولي طبع ضمن مؤلفه مناهج تجديد صـ٢٥٧

(٢) دراسات إسلامية لأمين الخولي ص٤٥

المبحث الثالث

أصول منهج الشيخ أمين الخولي التجديدية

بعد مطالعة جل ما كتبه الشيخ أمين الخولي، مما له صلة بالتفسير القرآني وأدواته، من التجديد في الإسلام، إلى الدراسات اللغوية، إلى الدراسات الإسلامية، إلى مشكلات حياتنا اللغوية، إلى مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، إلى سلسلة من هدي القرآن في أموالهم، وفي القادة والرسل، وإلى رسالته في إصلاح الأزهر الشريف، و رسالته في تعدد الثقافات في مصر وعلاجه، وبعد استخلاص أهم عباراته التي اتضح منها مواقفه تجاه تفسير القرآن الكريم وأدواته، والتي تحمل منهجه وغاياته،وجب أن نعصرها ونعتصرها لنخرجها في قواعد واضحة المعالم، ليتضح منها منهج الشيخ الخولي في تعامله مع القرآن الكريم ويأتي هذا في المطالب الآتية:-

المطلب الأول: المسلمات والغايات عند الشيخ أمين الخولي

أولا:المسلمات التي يؤمن بها الشيخ أمين الخولي

المسلمة الأولى:- يرى الشيخ أمين الخولي أن التجديد يرادف التطور، وأن الإسلام حمل أسس التطور بداخله مما يساعده على صلاحيته وبقائه فيقول "إن التجديد الذي يقرر الأقدمون اطراده في حياة الدين، ووقوعه في كل نقلة من انتقالات الحياة التي تمثلوها بالقرون ومائة السنة، إنما هو التطور مآلاً، وهو بهذا مصداق للناموس الذي تخضع له الكائنات ماديها ومعنويها"[(١)].

---

(١) المجددون في الإسلام صـ٤٢

المسلمة الثانية:ـ أن التطور عند الشيخ أمين الخولي يدخل جميع جوانب الدين، ويتحدث عن تطور العقائد، وتطور العبادات، وتطور المعاملات، فهو يقول مثلاً "وهل ترى أن من اليسير اليوم والصور تتحرك، وتنطق، وتوضح، وتعلم، أن نقول لهم إن التصوير حرام، وأن أشد الناس عذاباً المصورون" حين أنت تحتاج إلى الاستفادة بالتصوير ومجالاته الفنية في الإيضاح الديني اعتقادياً وعملياً، وما ذلك إلا مثل قريب لوجوب تطور العقائد في غرضها، مع تطورها في جوهرها، وصميمها فليس لوجه أن يتجهم لعنوان تطور العقائد(١).

كذلك يقول: لعل أبسط صور التطور المتغير أن تجد في الحياة في هذا الاختلاف فرصة للتخير بانتخاب ما تراه أيسر عملاً، وأصلح مسايرة، وأخف وقعاً، وأعمق أثراً، وهذا الانتخاب المتخير من مختلف الأقوال المتغايرة مما يسلم مبدئياً، ولا تجرى عليه مشاحة(٢).

المسلمة الثالثة:ـ يرى الخولي أن التجديد يتغير بتغير الزمن فيقول: وذلك لأن الدين الذي يصلح لكل زمان ومكان، لن يصلح للمسايرة بصورة واحدة لزمان واحد ومكان واحد، فكيف إذا كان هذا الزمان منذ مئات السنين، ولهذا علينا أن نجاهد جهاد أسلافنا في فهم الدين، وفي الاستعانة على ذلك الفهم بعلوم الأمم الأخرى حولنا. ولذلك فمن الضروري مراعاة الزمن، لأن أقوى الأشياء هو الزمن، فأي تغير يستدعي تطوراً أكثر مما تستدعيه دعوة وحياة، تريد

---

(١) المجددون في الإسلام صـ٥٩
(٢) المجددون في الإسلام صـ٦١

لنفسها أن تعمر ذلك العمر الأبدي في الأمكنة كلها مع هذه الأزمنة على طولها[١].

ويقول: إن الإسلام نفسه راعى هذا التطور، فلأن الإسلام دعوة عامة خالدة فهي بحكم السنن الكونية متطورة، وقد فهمه أصحابه قديماً، ثم تغير فهمهم هذا على مر الزمن، وهو اليوم بين يدي أصحابه يفهمونه ليس بعقل الأمس ولكن بعقل اليوم، واستشراف الغد، ولهذا كان من الضروري عدم الالتزام بتطبيق الماضي وفهم الماضي للإسلام، لأن ذلك يعني الوقوف عند حدود المستوى العقلي والاجتماعي لأهل الماضي[٢].

المسلة الرابعة:ـ يرى الخولي أن معنى التجديد هو التطور، وأنه فهم للقديم واستيعابه، ثم تجاوزه إلى الحديث فيقول:والتجديد هو قتل القديم فهماً، وحين نستوعب القديم استيعاباً جيداً يمكن تجاوزه، وتقديم اجتهاد حقيقي للكليات الإسلامية العامة، وذلك لأن الهدي القرآني إنما يمس من الحياة الأصول الكبرى، والأسس العامة، والتوجيهات العليا، والتي يتناولها القرآن في جملتها لحث العقل البشري على التدبير الدقيق والتقدير الصحيح للمتجدد من شئون الحياة، ورعاية العزوف في ذلك بين الأزمنة والجماعات والبيئات والثقافات وما يتصل بذلك كله[٣].

---

(١) من هدي القرآن في رمضان صـ٤٢ نقلاً عن الجذور العلمانية لمحمد أحمد سالم، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٥.

(٢) من هدي القرآن في رمضان صـ١٤٨ نقلاً عن الجذور العلمانية لمحمد أحمد سالم .

(٣) من هدي القرآن في رمضان صـ٥٩ نقلاً عن الجذور العلمانية لمحمد أحمد سالم

كما يرى الخولي أن التطور يلحق اللغة العربيـــة، ويوضـــح أن الذين يضيفون طابع القداسة على اللغة لن يكون هو معهم، ولن يرى رأيهم ما حيى، لأن هذا يؤدي إلى جمود العربية، وعدم امتداد الأيدي إليها بالإصلاح، وهذا ما لا يراه هو ولا يرتضيه، بل يدخل على اللغة العربية نظرية التطور من طرف خفي فيقول "فاللغة من أشد المظاهر الحيوية ليناً، وأقلها تصلباً وتحجراً، وأطوعهـــا للتطـــور، وقـــدماؤنا يدركون هذا واضحاً حين يتحدثون عن تهذيب اللغة وعوامله، وحين يقررون أن الاستعمال يحيي ويُميت، ويُقبِّح ويُحسِّن، وحين يصـــفون تداخل اللغات وما إلى ذلك من دلائل الشعور بتأثر اللغة بالحياة تأثراً قوياً"(١).

كما يقول عن تطور اللغة "والتطور كما لابد أن تعرفـــوا، هـــو الأصل التجريبي لفهم سير الحياة بالكائنات الحيـــة علـــى اختلافهـــا، وعلى هذا الأصل يتحدث الباحثون في اللغات اليوم عن تطور اللاغي، وتطور اللغة، فالصوت وجهازه في الإنسان يتطور تطـــوراً طبيعيـــاً مطرداً، وبذلك تتطور الأصوات اللغوية في الأحـــرف التـــي تمثلهـــا، ويتطور معها تأليف الكلام، ومع تطور اللاغي وتأثيره في اللغة تفعل الحياة، تفعل بظواهرها المختلفة في تطور اللغة، فالظروف الماديـــة، أو الظروف النفسية، والعاطفية، والعقلية لمتكلمي اللغة تـــؤثر فـــي تطورها، وأنماط الحياة التـــي يحياهـــا متكلمـــو اللغـــة تـــؤثر فـــي تطورها"(٢).

---

(١) مناهج تجديد صـــ١٩

(٢) مشكلات حياتنا اللغوية صـــ٦١

ثانيا: الغايات التي يتغياها الخولي والتي تعتبر عنوانا لمنهجه

أهم هذه الغايات التي عاش الخولي يناضل من أجلها هي التجديد، والحرية في التفكير، والانطلاق في الفهم، فقد أراد أن يجدد في التفسير بأن يغير طريقة التفسير التقليدية القديمة على الترتيب المصحفي تفسيراً تحليلياً، فاستبدل ذلك بطريقة التفسير الموضوعي العام النظرة لآيات القرآن الكريم.

وأراد أن يجدد في اللغة العربية من جهة التقريب بينها وبين العامية، وإنشاء لغة ثالثة صالحة بين اللغتين، ووضع لذلك ضوابط عدة ذكرت في موضعها.

وأراد أن يجدد في علم النحو تجديداً عاماً حتى إنه نزل على قواعد مرجوحة وضعيفة ولكنها خادمة لفكرته التجديدية.

وأراد أن يجدد في البلاغة فانطلق يقول "فيجدر أن ينظر إلى البلاغة بعين التجديد حتى لا نحصرها فيما حصرت فيه من كونها علماً يمكن معه الوقوف على معرفة الإعجاز فقط، بل لابد لها من تجديد أدبي"(١).

ولا أكون مبعداً إن قلت إن الخولي أراد التجديد قلباً وقالباً، حتى قال عنه تلاميذه إنه المجدد حتى في ملابسه، فقد ارتدى الزي الأزهري البين بين ، حتى يبين أنه غير تقليدي، بل هو متحرر الفكر والنظر ناعياً على الأزهريين تقليدهم في المعركة بينهم وبينه.

---

(١) دراسات إسلامية صـ١٢

تلمس هذه النظرية التجديدية عند الخولي في كل كتاباته التي سطرها قلمه، ولكن يجدر أن نذكر أن بعضها حسن وجُلَّها قبيح، وسيتضح ذلك أثناء الرد عليه ومناقشته في ما ذهب إليه.

ثم إن المناهج التي اتبعها في سبيل تحقيق غاياته تحتاج إلى تحرير وتدقيق، فلربما تكون على عكس ما أراده الخولي كمثال إعماله التجديد في قواعد النحو لاضطراب الإعراب الذي يريد أن يسهله فيصنع منهجاً أشد تعقيداً من المناهج المثالية التي وضعها الأقدمون، هذا وتجديد الخولي يمس الأصول والأسس فيغيرها، وينفي فيها، ويثبت، ويخالف مقررات كبرى، ويضيف إضافات جديدة.

المطلب الثاني: النظريات التي تبناها الخولي في الانطلاق من المسلمات وصولا إلى الغايات والرموز الفكرية التي أثرت فيه وشكلت وعيه

أولا: النظريات التي تبناها الخولي في الانطلاق من المسلمات وصولا إلى الغايات.

أهم هذه النظريات التي عاش الشيخ أمين الخولي يرددها ويؤمن بها إيمانا كاملا، هي نظرية النشوء والارتقاء الداروينية، والتي قام الشيخ بنشرها، وإعمالها، وتفعيلها في شتى شئون الحياة.

ونظرية دارون في النشوء والارتقاء هذه ليست وليدة اليوم، بل هي نظرية قديمة، حتى إن جمال الدين الأفغاني عندما سئل عن قول أبي العلاء المعري "والتي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد" قال إنما هي نظرية النشوء والارتقاء، بل يذهب الأفغاني إلى أن نظرية الانتخاب هذه سبق العرب فيها دارون بزمان، فقد حرص العرب على انتخاب الأمهات النجيبات، والانتخاب الطبيعي في تحسين

الحيوان، والحفاظ على أنساب الخيل، ولكن الأفغاني رفض بشدة أن نفسر بنظرية داروين العديد من الأشياء، ورفض توظيف شبلي شميل للنظرية، وإن كان لم يسلم من نقد العلمانيين له أي الأفغاني لأجل ذلك(١).

والذي يعنينا هنا أن أمين الخولي برغم ما دار حول هذه النظرية من جدل، بين قبول، ورد، وتصويب، وتخطئة، إلا أن الخولي تبناها، وقام بتدريسها، وإدخالها في أعظم مؤسسة دينية في العلم وهي الأزهر الشريف ؛ جاء هذا سنة ١٩٢٧ حينما وكل إليه تدريس الفلسفة الإسلامية والأخلاق في كلية أصول الدين، فكتب كتابه عن (الخير)أعطى منه هذه النظرية مساحة كبيرة فكان يقول حرفياً في كتاب الخير عن النظرية "وهو مذهب طبيعي يتصدى للبحث في الحياة، ونشوء الأنواع، وكيف تم ذلك، ولكنه يقرر أيضاً نواميس طبيعية مطردة تجري على المعنويات جريانها على الماديات، فعمَّم تطبيقه سائر فروع المعرفة الإنسانية، ومظاهر الحياة البشرية المختلفة"(٢).

والأوضح من هذا والأصرح قول الخولي عن هذه النظرية مما يبين إيمانه بحذافيرها يقول "والانتخاب الطبيعي قوة دائمة الفعل في استخراج التغايرات العرضية في العوالم العضوية كافة، نافية ما كان منها مضراً، مبقية، على ما كان مفيداً صالحاً بما يلائم طبيعة حالات

---

(١) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني،تحقيق د.محمد عمارة، طبعة دار الكاتب مصر ١٩٦٨ ص٢٥١

(٢) كتاب الخير لأمين الخولي طبعة دار الكتب المصرية ص ــ٨٧

الحياة المحيطة، ووفقاً لمبادئ الانتخاب الطبيعي، والبقاء للأصلح، وتناحر الأحياء ينشأ بعض الأنواع من بعض، وعلى هذا فليس بين الأنواع فروق ثابتة، ولا هي ظهرت على الأرض هكذا منذ خلقت، والإنسان في جملة الأحياء لم يكن هكذا منذ خلق، بل هو دائم التحول والتغير منذ القدم، وقد مر بأحوال مختلفة حتى انتهى منها إلى الحالة الحاضرة"(١).

كما أن الخولي يرى أن داروين وأتباعه لم ينكروا الألوهية، ويذكر كلاماً يبين فيه ما ادعاه فيقول "إن لا مارك رأس الباحثين المحدثين لا ينكر وجود الله، بل يسلِّم ويقرر أنه الذي خلق الأصل، وجعل فيه القابلية للتطور، كما تصنع الساعة لتسير وحدها على ساعة هذا العالم، ثم هذا دارون مؤسس المذهب يؤثرعنه أنه يقول بأنه يستحيل على العقل الرشيد أن يخالجه الشك في أن هذا العالم الفسيح، بما فيه من الآيات البالغة، وتلك الأنفس الناطقة المفكرة، يصدر عن صدفة عمياء، وهذا المذهب لا يخالف الإسلام، لأنه ليس فيه إنكار للإله، ونحن لا ننكر أن من القوم ماديين يرفضون التأليه والألوهية، ويعللون ظواهر العالم والأحياء فيه بما يقال في فكرة النشوء لكن ذلك ليس من أصول المذهب، ولا مقرراته، ولا تلحقه تبعته بل المذهب كما قال العالم الطبيعي توماس هكسلي يستحيل نقض الألوهية بمقتضاه"(٢).

---

(١) كتاب الخير لأمين الخولي ص ــ٨٨
(٢) كتاب الخير لأمين الخولي ص ــ١٠١

ثم إن الخولي يقرر عدم معارضة هذه النظرية للإسلام فيقول "ونتيجة لحمل أوزار الغير كالتزامنا القول بتفاصيل التوراة في الخلق والنشوء والأحياء، مع تقرير تحريفها وبطلانها، وما هذا الالتزام إلا إكراه لآيات القرآن على أن تؤدي معاني تلك التفصيلات، مضافاً إليها الشروح الإسرائيلية. وبهذا الإكراه والالتزام نقرر مخالفة المذهب للإسلام"(١).

هذا ولعل ما سبق ذكره آنفاً يبين مدى تأثر الخولي بهذه النظرية، التي ملكت عقله وفؤاده، حتى أدخلها في شتى صنوف التفسيرات، وانطلق منها ليضع بها يده في التفسير، واللغة، والنحو، والبلاغة.

ثانيا: الرموز الفكرية التي أثرت في أمين الخولي:-

لعل نشأة أمين الخولي في الدراسات المدنية منذ صباه، وعدم دخوله الأزهر (التقليدي) من الصغر، كان له أثر في توجهه بعد ذلك.

ثم يمتد إليه هذا الأثر من تعيينه في سفارة روما في إيطاليا لمدة عامين كاملين، تعلم فيهما الإيطالية، وقرأ لرجالاتها في صنوف العلم والمعرفة، ثم مكثه في برلين مدة أيضاً، ساعد في التقائه رجال الفكر الغربي ممن أثر فيه بعد ذلك، ثم مشاركته مع سلامة موسى وآخرين في تأسيس جمعية المصري للمصري للأهداف الوطنية أثرت أيضاً في وجدانه، فسلامة موسى له كتب وكتابات قريبة من أفكار الخولي، منها نظرية التطور وأصل الإنسان - البلاغة العصرية

---

(١) كتاب الخير لأمين الخولي صـ١٠٢

واللغة العربية، تجد فيها نصوصاً هي نفس أفكار الخولي، ولا ندري من الذي أثر في الآخر منهما ؟

ولكن ممن تأثر بهم الخولي صراحة ونقل عنهم هذا التأثر:-

* المستشرق كراداي فو والذي ذكره صراحة في حديثه عن مادة التفسير، وصوب رأيه في بعض قضايا التفسير التي نقلها عنه مثل النقد الشديد لرواة التفسير وغير ذلك، وسطر ذلك في كتابه "التفسير ..معالم حياته ومناهجه اليوم"(١).

* المستشرق نولدكه في كتابه تاريخ القرآن، والذي نقل عنه الخولي أنه كتب أبحاثاً حول التفسير خدمت هذه الدراسة، واشترك معه (شفالي) و(زيمرن) و(برجستراسر) في تحقيق هذا الكتاب فيقول الخولي: وهذه الأبحاث قد أضفت على تلك الموضوعات ألواناً من العناية – وإن لم تخل من نقد – فإنها لن تخلو من روح النقد والتمحيص، التي لابد منها في دراسة هذه الأبحاث. (مادة التفسير)(٢).

* تأثر الخولي أيضا بأقطاب المعتزلة، حيث أفسح مساحة للعقل في جوار الشرع الصريح، تتضح هذه المساحة عند حديثنا عن موقفه من السنة النبوية، وتقديم العقل عليها، إلا أن الإشارة هنا في تأثره تذهب بنا إلى قوله "وإذا ما كانت النظرة إلى الاعتزال في أوقات من الركود والتخلف قد كانت نظرة قاسية ترى الاعتزال انحرافاً أو زيفاً،

---

(١) دراسات إسلامية صـ ٢٠
(٢) دراسات إسلامية صـ٤١

فإن ذلك اليوم مما تأباه آفاق الفكر الإسلامي الحاضر"[١]. وفي موطن آخر يذكر أن أهم ما استفدناه من حياة المجددين النفور والتنفير من التقليد، كما كان الشافعي يحرض طلابه على ذلك، ويؤكد أن العقل إنما يقبل الحق، وأن عليهم رفض مالا تقبله عقولهم في أناه[٢]. فهو يقول "إذا ذكرت لكم ما لا تقبله عقولكم فلا تقبلوه، فإن العقل مضطر إلى قبول الحق"[٣].

ومن تأثره بالزمخشري يركز الخولي على أن تفسيرات الزمخشري العقلية المشوبة بالنظرة النفسية وإلى حال المخاطبين، قد حلت الكثير والكثير من المشكلات التفسيرية، مما عجزت عن حله أعلى الأعاريب وأجلى الأقوال اللغوية[٤].

* كذا تأثر الخولي ببعض رجالات المدرسة الانفتاحية، مثل أحمد فتحي باشا زغلول في تقريبه بين العامية والفصحى[٥].

* وتأثر بمحمد أحمد فرج السنهوري في إعماله الاجتهاد في الفقه، فأعمله هو -الخولي- في النحو على غرار ما دار بينهما من مراسلات، سطرها الخولي في كتابه، وذكرت في موضعها[٦].

---

(١) المجددون في الإسلام صـ٥٧
(٢) المجددون في الإسلام صـ١٦٥
(٣) المجددون في الإسلام صـ٩٧
(٤) دراسات إسلامية صـ٤٥
(٥) مناهج تجديد صـ١٤
(٦) مناهج تجديد صـ١٧: ١٩

*** وتأثر الخولي أيضاً بالأب أنستاس الكرملي في نقله عنه الرؤية بأن القول بتفضيل اللغة العربية يؤدي إلى معارضة هذه اللغة وتخلفها، فنتيجة تفوق اللغات الأخرى عليها فقال "إن الناطقين بالضاد الذين أمعنوا في تدبر لغتهم، وتقليبها على مناح شتى من كلام البشر، فكان هذا الاعتزاز داعياً بل ناعياً كل تبحر في معارضتها بسائر اللغى والألسنة". قال الخولي: تلك حقيقة جرى بها قلم الرجل... إلخ(١).**

*** تأثر الخولي أيضاً تأثراً كبيراً بعبد الله العلايلي الذي كتب كتاباً في تطور اللغة، أعجب الخولي جداً وترجم عن أفكاره، وهو كتاب "مقدمة لدرس لغة العرب" والمطبوع في مصر سنة ١٩٣٨م(٢).**

*** وتأثر الخولي أيضاً ببرجستراسر في دعوته إلى تطور النحو العربي، والتي بهرت الخولي جداً، وأثنى عليها ثناءاً عاطراً مما دعاه إلى أن يقول: وكان من أجلاء أولئك المغفور له المستشرق برجستراسر أستاذ اللغة السامية بجامعة ميونخ، الذي ألقى سنة ١٩٢٩ سلسلة محاضرات عن التطور النحوي للغة العربية تعتمد على تلك الخبرة الصادقة باللغات السامية ومقابلاتها(٣).**

*** وتأثر به أيضاً وصوب رأيه في القول بأن الإعراب ليس من خصائص العربية، بل هو من خصائص اللغة السامية، وتشترك معها فيه لغات أخرى(٤).**

---

(١) مشكلات حياتنا اللغوية ص ٧٩
(٢) مشكلات حياتنا اللغوية ص ــ٩٧
(٣) مشكلات حياتنا اللغوية ص ــ٩٣
(٤) مشكلات حياتنا اللغوية صــ٧٣

*** تأثر الخولي أيضاً بأفلاطون وأرسطو، حيث جاءت دعوته إلى تجديد البلاغة العربية تحمل دعوة الأخذ من أرسطو وأفلاطون دعوتهم إلى دراسة فن القول، دون البحث في المسائل البلاغية العميقة، نظراً لأن بلاغة العجم قامت على مباحث الفلسفة وتأثرت بها[١].**

هؤلاء هم أهم من تأثر الخولي بهم وبمناهجهم التي ساروا عليها في حياتهم، ويبقى غيرهم ممن ارتأى رأيهم، ولكن في هذا القدر الكفاية.

---

(١) مناهج تجديد صـ١٢٠: ١٣٣

الفصل الثاني

مناقشة الشيخ أمين الخولي في دعوته التجديدية، تفنيد مزاعم وإقرار حقائق

وبعد أن وقفنا على مقولات الشيخ أمين الخولي ، التي ارتضاها بفكره ، وسطرها بقلمه ، دون تزيد منا أو تنقص ، مع توثيقنا لما ذهب إليه من باطن كتبه، من خلال قراءتنا له قراءة كلماتية، نقف فيها مع كلامه كلمة كلمة لننظر ماذا يريد منها ؟ وماذا يقصد بها ؟ حتى وصل الأمر بنا في نهاية المطاف إلى استخلاص مقولاته الرئيسية، والتي تشكل معالم فكره بدقة متناهية.

بعد كل هذا نقف مع هذه المقولات ، وتلك الأفكار، لنناقشه فيها مناقشة عقلية نقلية هادئة ، وجريا على عادة القرآن الكريم في الرد على المخالفين ، من إيراده الشبهة حتى يسلم الخصم بأنه قالها ، وأنها مقولته ، ثم يتولى القرآن الكريم الرد عليه وتفنيدها ، سنفعل مع الشيخ أمين الخولي حيث نورد الشبهة التي أثارها أو الدعوة التي يقصدها ثم نورد من كلامه ما يؤيدها – أو نشير إلى موضع كلامه هذا فيما سبق من صفحات البحث– ثم نناقشه فيها لنصل إلى الحق سويا ، ومعلوم أن الحق أبلج ، وأن الباطل لجلج ، وأنه لا محالة سيظهر الدقيق من الركيك، وسيتضح الزلال من الزعاق، والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ؛ فنقول وبالله التوفيق :

من معايشتنا للشيخ أمين الخولي في كتبه على مدار عدة أعوام، وبعد خوض غمار فكره، رأينا أن الشيخ أمين الخولي –

رحمه الله- صاحب دعوة تجديدية، تناولت التراث بأكمله ، حيث انطلق من الدعوة إلى التجديد في النحو والبلاغة والأدب واللغة لكي يصل في النهاية إلى التجديد في التفسير – إذ الأخير غاية لسائر العلوم السابقة- من هنا كان الشيخ أمين الخولي موقفا من أدوات التفسير، وموقفا من التفسير ذاته، وانطلق الشيخ أمين الخولي في دعوته التجديدية هذه، من مسلمات آمن بها، ونظريات احتكم إليها متأثرا بشخصيات ورموز فكرية ، أورد أسمائهم في أثناء كلامه حينا ، وظهر من مطالعتنا أسماء أخر تشارك من ذكرهم في نفس دعواتهم ، لذلك جاءت هذه المناقشة للشيخ أمين الخولي في ستة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول : مناقشة الشيخ أمين في المسلمات التي انطلق منها لدعوته والغايات التي يتغياها من هذه الدعوة.

المبحث الثاني: مناقشة الشيخ أمين في النظريات التي احتكم إليها ووصل من خلالها إلى ما قال.

المبحث الثالث : مناقشة الشيخ أمين الخولي في موقفه من أدوات التفسير (السنة النبوية المطهرة – اللغة – النحو- البلاغة- الأدب).

المبحث الرابع : مناقشة الشيخ أمين الخولي في موقفه من التفسير.

المبحث الخامس : مناقشة الشيخ أمين الخولي في إنتاجه العلمي الذي أنتجه من خلال مشروعه التجديدي، ومعرفة ما إذا كان هذا الانتاج موافقا لمبادئ المشروع ومقدماته أو لا.

المبحث السادس: إطلالة على مواقف الشيخ أمين الخولي في خلال حياته مع تلاميذه وحملة أفكاره ونصرته لهم وموقف المجتمع العلمي منه ومن تلامذته.

وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الله المعبود

المبحث الأول

مناقشة الشيخ أمين الخولي في المسلمات التي انطلق منها لدعوته والغايات التي يتغياها من هذه الدعوة

لابد لكل شيء من أساس يقوم عليه ، وركيزة يستند إليها ، وهذه سنة الله تعالى في الكون ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ﴾ [1] وفي مثل موقفنا هذا، ونحن نطالع فكر الشيخ أمين الخولي، ومن كلامه الذي سطره في كتبه، التي تعد في عرف التأليف رصينة، لأن صاحبها دقيق العبارة، يعرف ما يقول، ولا يلقي الكلام على عواهنه، بل كل كلمة عنده لها معنى تحمله، ومغزى تتغياه؛ من ذلك كله وقفنا على بعض المسلمات التي انطلق منها الشيخ أمين الخولي تجاه غاياته التي عاش يناضل ويكافح من أجلها، وهذه المسلمات بل على رأسها هو أن التجديد في الدين ضرورة بكل معاني هذه الكلمة، وذلك لأن الدين حمل في طياته معالم بقائه على مر الدهور وكر العصور كما ظهر من دستوره صلاحيته لكل زمان ومكان، ومن هنا كانت معايشته لسائر الأحوال والأزمان ، تعد ضرورة تقتضي إعمال التجديد فيه، حتى يحقق هذه الغاية.

ثم إن التجديد عند الشيخ أمين الخولي يرادف التطور، وهذا التطور يدخل جميع جوانب الدين، من عبادة وعقيدة وغيرهما، ونحن

---

(١) سورة فاطر الآية٤٣.

لا نستطيع أن نغض من قيمة ما يقول الشيخ أمين الخولي إلى الآن، لأننا لم نعرف بعد ما يريد الشيخ أمين الخولي من كلمة التطور في جوانب الدين كلها، ثم ظهر من كلام الشيخ أمين الخولي أن التجديد يتغير بتغير الزمن، وأنه في الأساس قتل القديم فهما، ثم بعد فهمه يمكن تجاوزه، وتقديم اجتهاد غيره لمقاصد الدين العامة، ونحن لا نتقول على الشيخ أمين في هذا فقد قال : "التجديد هو قتل القديم فهما وحين نستوعب القديم استيعابا جيدا، يمكن تجاوزه، وتقديم اجتهاد حقيقي للكليات الإسلامية ، وذلك لأن الهدي القرآني إنما يمس من الحياة الأصول الكبرى، والأسس العامة ، والتوجيهات العليا ، والتي يتناولها القرآن في جملتها، لحث العقل البشري على التدبير الدقيق، والتقدير الصحيح للمتجدد من شئون الحياة، ورعاية العزوف في ذلك بين الأزمنة، والجماعات، والبيئات، والثقافات ، وما يتصل بذلك كله.[١]

والذي يقرأ هذا الكلام الذي قاله الشيخ أمين الخولي، ربما لا يستوعب أن مقصده منه هو ما قلنا من تجاوز القديم ، وتقديم فهما جديدا للدين وثوابته وكلياته، أما عندما يرى ممارسات الشيخ أمين الخولي في حياته كلها، في مؤلفاته، ولقاءاته الإذاعية، وكلامه في تلاميذه في الجامعة، يدرك تماما أن الشيخ أمين الخولي يقصد ما يقول بالحرف الواحد، فقد سطر كتبا في تجاوز القديم، وإصلاحه، وتغيير ما يراه مستحقا للتغيير منه.

---

(١) من هدي القرآن في رمضان للشيخ أمين الخولي ص٥٩.

فقد دعا إلى التجديد في أصول وقواعد اللغة العربيـــة، ونـــادى بتجديد قواعدها، سواء كانت نحوا، أو صرفا، أو بلاغة، أو أدبا، أو حتى كانت أصلا للغة ومتنها، وما ثورته على علم الوضـــع اللغـــوي وهدمه له عنا ببعيد فقد نقلنا في ذلك ما لا مجال لنقلـــه هنـــا وكـــل مؤلفات الشيخ أمين تشهد على ذلك تماما.

ثم نادى بتجديد التفسير، وثار على المفسرين قبله فلـــم يســـلم منهم واحد أو كاد لا يسلم، وظهر ذلك في أبهى صورة عندما هـــدم ثابتة من الثوابت التي استند عليها كل المفسرين مـــن لـــدن نـــزول القرآن الكريم إلى يوم الشيخ أمين هذا – وهي أن كـــل مـــن تنـــاول التفسير تناوله على ترتيبه التـــوقيفي الـــذي هـــو عليـــه الآن فـــي المصحف– فخرج على الدنيا بالنداء المشهور بأن كـــل مـــن فســـر القرآن على هذا المنحى، لم يتبع الطريق السديد، وأن الطريق عنـــده هو أن يرتب القرآن الكريم ترتيبا زمنيا مما يشير إشارة واضحة إلى أن الشيخ أمين الخولي كان مغرما بالتجديد، فهو لب فكره، وعصـــب عقله، وهو الغاية العظمى عنده، والطريقة المثلى التـــي بهـــا يفهـــم الدين فهما صحيحا، وبغيرها لا يكون شيء، وينطلق مـــن مســـلمة رئيسية وهي أن هذا التجديد لابد أن يمس الأصـــول، يرفـــع فيهـــا، ويثبت، ويغير، ويخالف مقررات كبرى.

من كل ما سبق وجب أن نقف مع الشيخ الخولي في هذا عـــدة وقفات، منها الوقوف معه في دعوته إلى تجديد اللغة، وإلى تجديـــد التفسير، وهذا ما سيكون بعد أن نقف معـــه الآن لمناقشـــته حـــول

المسلمات التي انطلق منها لدعوته، والغايات التي أراد الوصول إليها فنقول وبالله التوفيق:

أولا: إذا كان الشيخ أمين الخولي رأى أن التجديد في هذا الزمن ضرورة ملحة، فنحن معه في دعوته هذه قلبا وقالبا، فإن دين الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان، ومن صلاحيته لكل زمان ومكان، أن أودع الله تعالى فيه عوامل قابليته للفهم على اختلاف الأزمان، والأمكنة، وصلاحيته للتطبيق في شتى البقاع والأزمنة.

ثانيا:لكن ثمت فرق جوهري بين رؤية علماء الإسلام للتجديد، ورؤية الشيخ أمين الخولي له، وحتى يتضح هذا الفرق بين الرؤيتين لابد أن نقف على المقصود من التجديد، الذي ينادي به العلماء المعتبرون في الشريعة الإسلامية، وهم من فهموا مقاصد الشرع الشريف، ودرسوا كلياته، وجزئياته، وفهموا عمن سبقهم من علماء السلف، ومن قبلهم عن المورث الأول رسول الله ﷺ؛ وتأتي الحاجة إلى معرفة المراد بالتجديد هنا، حتى يتضح البون الشاسع ما بين الرؤيتين، والفرق الكبير ما بين الدعوتين، فنقول: قال العلماء: إذ التجديد في اللغة: تصيير الشيء جديدا، وهو خلاف الأمر وأجده واستجده إذا أحدثه(١).

---

(1) لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ، مادة جدد ٥٦٣/٤، مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، طبعة مكتبة لبنان ١٩٩٣ ، مادة جدد ص٤٠، المعجم الوجيز، إعداد مجمع اللغة العربية ، طبعة وزارة التربية والتعليم بالقاهرة ، مادة جد ص ٩٤.

فالتجديد يعني وجود شيء كان على حالة ما، ثم طرأ عليه ما غيرَّه وأبلاه، فإذا أعيد إلى مثل حالته الأولى التي كان عليها قبل أن يصيبه البلى والتغيير كان ذلك تجديدا[١].

أما التجديد شرعا : فهو التجديد اللغوي عينه مضافا إليه ما تقتضيه طبيعة الإضافة إلى الشرع من مدلول خاص ومعنى جديد وقد تنوعت عبارة العلماء في تعريف التجديد لكنها لم تخرج بحال عن محاور ثلاثة :

الأول : إحياء ما اندرس من معالم السنن، ونشرها بين الناس، وحمل الناس على العمل بها.

ويقول العظيم أبادي في عون المعبود: قال العلقمي: التجديد إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات.[٢]

الثاني : قمع البدع والمحدثات، وتنقية الإسلام مما علق به من أوضار الجاهلية، والعودة به إلى ما كان عليه زمن النبي ﷺ.

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي ت ٧٧٠هـ ، نشر المكتبة العلمية) بيروت ٩٢/١

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبي عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي ت ١٣٢٩هـ ، ومعه حاشية ابن القيم : تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.١١/٢٦٠.

قال العلامة المناوي في شرح حديث التجديد: يجدد لها دينهـا، أي يبين السنة من البدعة، ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهـل البدعة ويذلهم.[١]

المحور الثالث : تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجد من وقـائع وأحداث، ومعالجتها معالجة نابعة من هدي الوحي .

يقول عبد الفتاح إبراهيم : التجديد يعني العودة إلى المتروك من الدين ، وتذكير الناس بما نسوه ، وربط ما يجد في حياة الناس مـن أمور بمنظور الدين لها لا بمنظارها للدين .[٢]

ويقول العلامة يوسف القرضاوي في رؤيته للتجديد: إن التجديد لشيء ما ، هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهـر، بحيث يبدو مع قدومه كأنه جديد ، وذلك بتقوية ما وهي منه، وترميم ما بلى، ورتق ما انفتق، حتى يعود أقرب ما يكون إلى صورته الأولى ، فالتجديد ليس معناه تغيير طبيعة القديم ، أو الاستعاضة عنه بشيء آخر مستحدث مبتكر فهذا ليس من التجديد في شيء[٣].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحـدادي ثـم المناوي القاهري ت ١٠٣١هـ، نشر المكتبة التجارية الكبـرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ ، ٣٥٧/٢.

(٢) حسن الترابي وفساد تطوير الدين للعلامة عبد الفتـاح إبـراهيم محجوب ص٥٣

(٣) من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا للعلامة يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي بيـروت، الطبعـة الأولـى١٩٩٨، ص٢٨.

هذا عن التجديد عند العلماء المعتبرين في أمة الإسلام ، وهـو كما ترى يخالف ما يدعو إليه الشيخ أمين الخولي تماما.

فبينما نرى الشيخ أمين الخولي يجعل التجديد مرادفا للتطـور، وهو التغيير من حالة إلى حالة نرى علماء الإسلام غيره ، يرون أن التجديد هو إحياء ما اندرس من معالم السنن ونشرها بين الناس .

وبينما نرى الشيخ أمين الخولي يرى أن هـذا التجديـد وذلـك التطور، لابد أن يدخل جميع جوانب الدين وعلى رأسها العقائد، نرى العلماء لا يرون هذا ألبته بل يشترطون أن التجديد لا يصح أن يقترب من ثوابت الدين وهذا ما سيتضح عن قليل عند استدعاء كلامهم في رؤيتهم التجديدية للعلوم الشرعية.

وبينما نرى الشيخ أمين الخولي يرى أن التجديد بمثابة ثـورة على التراث، يثبت فيه وينفي، ويغير فيه ويبدل، ويمس فيه الأصول، وينقض فيه المعالم، ويقدم اجتهادات جديدة لا سابقة لها، نـرى أن العلماء لا يرون ذلك، وإنما نراهم يحملون حملة شعواء علـى مـن تسول له نفسه أن يفكر في هذا، أو تسول له فعله، فنـرى الشـيخ الغزالي رحمه الله يقول: "وكـل محاولـة للبتـر، أو للإضـافة، أو التحوير، هي خروج عن الإسلام، وافتراء على الله، وافتيـات علـى الناس، وتهجم على الحق بغير علم، فليس يقبل من أحـد البتـة أن يقول: هذا نص فات أوانه، أو هذا حكم انقضت أيامه، أو أن الحيـاة قد بلغت طور كذا، ويقتضي ترك كذا من الأحكام، أو التجاوز عن كذا من الشرائع، فهذه محاولات لهدم الإسلام في إعادة الجاهلية، فلـنعلم أن تجديد الدين لا يعني ارتكاب شيء من هذه المحاولات المنكـورة،

ولم يفهم أحد من العلماء الأولين أو الآخرين، أن تجديد الدين يعني تسويغ البدع، ومطاوعة الرغبات، وإتاحة العبث بالنصوص والأصول لكل متهم، غير أن عصابة من الناس درجت في هذه الأيام على إثارة لفظ غريب حول إمكان ما يسمونه تطوير الدين وجعل أحكامه ملائمة للعصر الحديث".[١]

مما سبق من نقول يتضح الفرق بين التجديد عند الشيخ أمين الخولي والتجديد كم يراه علماء الإسلام، بضوابطه، وقواعده، وقوانينه التي لا تخالف الإسلام في صغير ولا كبير، ويظهر أيضا أن الشيخ أمين الخولي يخالف جميع الثوابت الدينية في رؤيته هذه للتجديد، فهو يدعو إلى تطوير الدين حتى يكون صالحا للزمان والمكان الذي حصل فيه التطوير.

ثالثا: يجدر أن نذكر هنا أن دعوة الشيخ أمين الخولي للتجديد بمفهوم التطور، ليست دعوة انفرد بها الشيخ أمين، وإنما شاركه فيها غيره من دعاة فكره، فقد نشأت هذه الفكرة أول ما نشأت عند الغربيين وأسموها بالعصرانية، والعصرانية كما يقول منير البعلبكي هي حركة تجديد واسعة نشطت في الأديان الكبرى داخل اليهودية وداخل المسيحية وداخل الإسلام أيضا، وعرفت في الفكر الديني الغربي باسم العصرانية (modernism) وكلمة عصرانية لا تعني مجرد الانتماء إلى العصر، ولكنها مصطلح خاص تعني العصرانية في الدين، أي وجهة نظر في الدين مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي

---

(١) كيف نفهم الإسلام للشيخ محمد الغزالي ص١٨٣.

والثقافة المعاصرة يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية، على ضوء المفاهيم الفلسفية، والعلمية المعاصرة .[١]

لكن العلماء لم يضعوا كل من دعا إلى هذه العصرانية في سلة واحدة، وإنما قسموا المنتمين إلى هذا الفكر على طائفتين رئيستين:-

الطائفة الأولى: هم من يرون ان التطوير ينبغي أن يطال كل شئ في الدين، لا فرق بين أصول وفروع، ولا بين عقائد وشرائع ومعاملات، ومن أمثال هؤلاء حسن حنفي، ومحمد أركون، وهشام جعيط، وعبد الله العلايلي، وفتحي عثمان، والذي كتب كتاب "الفكر الإسلامي والتطور" يقول في مقدمته: "الكتاب محاولة لمناقشة قابلية الإسلام في أصوله للتطور ومناقشة رصيد المسلمين التاريخي في التطور".[٢]

ومنهم أيضا محمد إقبال، ومحمود الشرقاوي، ومن هؤلاء أيضا الشيخ أمين الخولي ومقولاته كثيرة ومنها في أصرح قول قوله: إننا ننتهي باطمئنان إلى أن التجديد الديني إنما هو تطور، والتطور الديني هو نهاية التجديد الحق[٣].

أما الطائفة الأخرى فهي من يستثني العقائد والعبادات من التطور، ثم ينادي به في سائر الأحكام الأخرى، وعلى رأس هؤلاء محمد النويهي الذي يقول: إن نصوص القرآن والسنة بمسائل العقيدة

---

(١) قاموس إنجليزي عربي لمنير البعلبكي ص٥٨٦.
(٢) الفكر الإسلامي والتطور للدكتور محمد فتحي عثمان، الدار الكويتية، الكويت، الطبعة الثانية ١٩٦٩م. ص٢٣.
(٣) المجددون في الإسلام ص٥٩.

والعبادة هي التي تقبل، أما غيرها في أي ناحية من نواحي التشريع فتخضع للتعديل والتغيير والإضافة والحذف[١][٢].

مما سبق يتضح أن الشيخ أمين الخولي في دعوته هذه للتطور، كان حلقة في سلسلة متصلة من أرباب هذا الفكر ، الذين نادوا بالعصرنة ، وأعملوا نظرية التطور في كل جوانب الدين، ويظهر هذا بكل وضوح وجلاء في كل ما كتبه الشيخ أمين في كتابه "المجددون في الإسلام".

كما يظهر أيضا أن هذه النظرة التي جعلها الخولي مسلمة للانطلاق منها إلى غايته في التجديد، قد سقطت وتهاوت ولم تقم أمام كلام العلماء المعتبرين حول رؤيتهم للتجديد في الدين وضوابطه.

هذا وقد توسع العلماء في الرد على دعاة العصرنة وتطوير الدين، وعلى رأسهم الشيخ أمين الخولي، فقد كتبت في هذا المجال كتب ورسائل جامعية، منها رسالة الدكتوراه للباحث عدنان محمد أمامه بعنوان "التجديدفي الفكر الإسلامي"توقشت في كلية الإمام الاوزاعي ببيروت وغيرها كثير.

---

(١) مجلة الآداب بيروت عدد مايو ١٩٧٠م ص٣١ مقال لمحمد النويهي.

(٢) انظر رسالة الدكتوراة للباحث عدنان محمد أمامة وعنوانها "التجديد في الفكر الإسلامي" كلية الإمام الأوزاعي بيروت سنة ٢٠٠١ ط دار ابن الجوزي ص٣٧٣ وما بعدها بتصرف كبير.

المبحث الثاني

مناقشة الشيخ أمين الخولي في النظريات التي اعتنقها ووصل من خلالها إلى ما قال.

سبق في أثناء البحث أن أجملت فكر الشيخ أمين الخولي، ووقفت على إيمانه بنظرية دارون، ونقلت كلامه الصريح في ذلك مما لا مجال إلى إعادته هنا، وإنما مقصودنا هنا هو الكلام على نقد هذه النظرية، وإظهار بطلانها حتى يظهر ذلك جليا لذي عينين، وحتى يسقط كل ما بناه الشيخ أمين الخولي من كلام على هذه النظرية فأقول :-

أولا: نشأة هذه النظرية

يعود الحديث عن هذه النظرية والتي تسمى بنظرية النشوء والارتقاء إلى قدماء فلسفة اليونان والإغريق لأنها نظرية وليدة التصور والتخيل .[١]

وبعد فتوحات الإسلام عن طريق الترجمة، انتقلت هذه التصورات مع ما نقل من ترجمات، فظن البعض أن الحسن البصري قد تكلم بها، وهناك من قال أن الشاعر أبا العلاء المعري قد تكلم بها، وهذه دعاوي لا يساندها دليل.[٢]

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي، مادة إنسان، طبعة دار المعرفة ط١سنة ١٩٧١، ٧٠٣/١

(٢) نقل الفخر الرازي عن الحسن البصري قوله: خلق الله تعالى الأشياء ما يرى وما لا يرى من دواب البر والبحر في الستة أيام

وممن خاض في هذه النظرية العلامة عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المعرووف بابن خلدون، حيث قال: انظر إلى عالم التّكوين كيف ابتدأ من المعادن ثمّ النّبات ثمّ الحيوان على هيئة بديعة من التّدريج، آخر أفق المعادن متّصل بأوّل أفق النّبات ، مثل الحشائش وما لا بذر له ، وآخر أفق النّبات مثل النّخل والكرم متّصل بأوّل أفق الحيوان ، مثل الحلزون والصّدف ،ولم يوجد لهما إلّا قوة اللّمس فقط ومعنى الاتّصال في هذه المكوّنات أنّ آخر أفق منها مستعدّ بالاستعداد الغريب لأن يصير أول أفق الّذي بعده، واتّسع عالم الحيوان وتعدّدت أنواعه ، وانتهى في تدريج التّكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والرّويّة ترتفع إليه من عالم القدرة ، الّذي اجتمع فيه الحسّ والإدراك ، ولم ينته إلى الرّويّة والفكر بالفعل وكان ذلك أوّل أفق من الإنسان بعده وهذا غاية شهودنا[1].

وخاض أيضا في هذه النظرية أحمد بن سهل أبو يزيد البلخي، والعلامة الفيلسوف أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب بابن مسكويه، وإخوان الصفا،وهذا يدل على أن فكرة النشوء والارتقاء سابقة على دارون، لكن الحال أن نسبت هذه النظرية إلى تشارلز دارون

التي خلق فيها السموات والأرض وآخر ما خلق آدم عليه السلام. انظر تفسير الفخر الرازي المسمى بمفاتيح الغيب لمحمد بن عمر المشهور بخطيب الري المتوفى ٦٠٦هـ طبعة طهران ٣٥/٣.

(١) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبي زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي ت ٨٠٨هـ ، تحقيق خليل شحادة طبعة دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ) ١٩٨٨ م ، ١٢٠/١.

الإنجليزي الجنسية، اليهودي الديانة، نظرا لهيمنة بريطانيا وقتئذ، في حين كتب فيها لامارك الألماني وأرنست هيجل الأماني أيضا.[١].

وكان ذلك عام ١٩٥٩عندما خرج تشارلز دارون على العالم بكتابه "أصل الأنواع"والذي روى به عطش العلم النيوتني، والذي ألقى في روع الكنيسة إمكان تفسير الظواهر الطبيعية "ميكانيكيا"، أي دون الحاجة إلى مدبر، ولذلك فلم تكن ظروف الصراع تستدعي إلا إيجاد فكرة عن الحياة تقوم على قانون ميكانيكي كقانون نيوتن في الفلك .

وقد حاول كثيرون الحصول على شرف اكتشاف هذا القانون ، فبذل كل من "بوفون" و "لامارك" و "كوفييه" و"بترس كومبر" جهودا مضنية في هذا الشأن ، حتى حالف الحظ "دارون" فاعتمد على نظرية "مالتوس" في علم السكان ، والذي توهم فيها مالتوس أن الطبيعة تفني الضعفاء لبقاء الأقوياء ، وأنتج نظرية "الانتقاء والانتخاب الطبيعي" وجاء بعده الداروينية الحديثة ، وأجروا سلسلة من التعديلات على هذه النظرية ، وخلاصة النظرية أن دارون قال: الحياة الأولى وجدت حول المستنقعات ، وصارعت من أجل البقاء فتغلفت بصدف كلسي يقيها من عوامل الجو من حرارة وبرودة[٢].

كما يرى دارون أن حيوانات كانت تمشي على بطنها قد تحولت إلى حيوانات تمشي على أربع ، وأن ريشات ومجنحات قد تطورت

---

(١) الإسلام ونظرية التطور لمحمد أحمد باشميل طبعة مكة المكرمة رقم ٢ سنة١٣٨٨هـ) ١٩٦٨م ،ص٢٢.
(٢) الإسلام ونظرية التطور لمحمد باشميل ص٢٢.

إلى ذوات الفقرات ، وهم بهذا يصلون إلى القول بأن الإنسان ما هو في الأصل إلا حيوانا بسيطا تحول من نوع إلى نوع آخر ، وارتقى من الأدنى إلى الأعلى حتى وصل إلى ما هو عليه من كمال ، ومثل هذا يقولونه في النباتات من حيث تطورها وارتقاؤها وانتقالها من نوع لآخر حسب البيئة والظروف عبر الزمن .فهي تقوم على أربع دعائم وهي :

١- تنازع البقاء

٢- نظرية الانتخاب الطبيعي

٣- قاعدة التطابق

٤- قانون الوراثة[١].

ولسنا الآن في معرض الحديث الطويل في هذه الفلسفات اللامعقولية ، وإنما المقصود هنا هو الرد على هذه النظرية وإثبات بطلانها.

ثانيا: من رأى القول بهذه النظرية

في حقيقة الأمر وقع في براثن الإيمان بهذه النظرية من العلماء كثير، فضلا عمن أمن بها في أوربا والعالم المسيحي، الذي كان يتلقف أمرا يتخلص به من سلطان الكنيسة.

وممن قال بهذه النظرية ، وسطر فيها كلاما في مؤلفاته من أصحاب المدرسة العقلية في التفسير، العلامة محمد رشيد رضا، وشيخه الإمام محمد عبده، والشيخ عبد الكريم الخطيب، وقد ورد هذا

---

(١) الإسلام ونظرية التطور ص٢٢:٢٤.

عنده في صدر تفسيره، وغيرهم، وقد تناول الرد عليهم الدكتور عبد الرحيم فارس أبو عبلة في رسالته للدكتوراه، والدكتور السيد أحمد فرج في كتابه جذور العلمانية(١).

ثالثا: من عارض هذه النظرية

لم يتفق الغربيون فيما بينهم على قبول نظرية دارون، فبينما تغنى بها قوم وجدوا فيها مصالحهم ومآربهم وتحررهم من ربقة الدين، وجد في الناحية الأخرى قوم معارضون لها أشد المعارضة، فمن أشد المعارضين لهذه النظرية الدكتور "رونالد جونسون" أستاذ علوم الأجناس البشرية عام ١٩٧٤ حيث قال: إن العلماء يستطيعون الآن أن يقولوا بعد دراسات وتجارب امتدت سنوات طويلة بنسبة ٩٩,٩% من الدقة أن الإنسان سار منتصبا على قدميه، منذ أن وجد على الأرض ، أي أنه بدأ تاريخه الإنساني منذ أكثر من ثلاثة ملايين سنة، وكذلك ظهرت عظام ترجع إلى خمسة ملايين سنة ، وكل هذا يشير إلى أن الإنسان القديم كان يسير منتصب القامة منذ أكثر من ثلاثة ملايين سنة.

ومن هؤلاء العلماء العالم الفرنسي "جان بيفتو" رئيس المجمع العلمي الفرنسي سابقا بعد أن أوقف من عمره نصف قرن لدراسة

---

(١) شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري رسالة دكتوراه للباحث عبد الرحيم فارس أبو عبلة إشراف دكتور أنس جميل طبارة طبعة بيروت ١٤٢٦هـ) ٢٠٠٥م ص ١٩٣: ٢١٧، جذور العلمانية للدكتور السيد جميل فرج طبعة دار الوفاء المنصورة ط١ ١٤٠٥هـ) ١٩٨٥م ص٦٦ وما بعدها.

أصل الإنسان، وصل إلى أن الإنسان ليست له علاقة تجانس بالقرد، وأن كل المتشابهات بين القرد والإنسان غير كافية لنجزم بوجود أصل واحد بين الإنسان والقرد.

ومن هؤلاء أيضا الدكتور "موريس بوكاي" عندما عرض لقضية خلق الإنسان بين المسيحية والإسلام ، ذكر أن دارون نفسه لم يفلح في ذكر وشرح تحول حالة واحدة من نوع لنوع آخر، وقد اعترف هو نفسه بذلك، حتى قال موريس بوكاي: إن فكرة الله الخالق هي التي تقدم لنا التفسير السليم الشافي، التي لا تتعارض مع المنطق ،كما جاء في الكتب السماوية الثلاث، وعلى العالم الموضوعي قبول هذه التعاليم(١).

رابعا: نظرية دارون تتهاوى وتتساقط أمام حقائق القرآن الكريم

في الحقيقة إن حديث القرآن الكريم عن خلق الإنسان منذ أن كان جنينا في بطن أمه، وحتى يصير إلى الشيخوخة ليدل دلالة واضحة على أن هذه النظرية باطلة من الأساس، وأنه إن قبلها العالم الملحد فلا يتأتى لمن يقرأ القرآن الكريم، ويعلم تواتره لفظا ومعنى، ونزوله من عند الله تعالى، وحفظ الله له إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لا يتأتى له أن يصدق مثل هذه النظرية وأمثالها من الباطل الصراح.

فقد بين الله تعالى كيف خلق الإنسان، وظهر ذلك جليا في آيات القرآن الكريم، وهي كثيرة جدا لا يحويها حديث بسيط في عجالة،

---

(١) الفكر الغربي دراسة نقدية لأنور الجندي طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ط١ ١٤٠٧هـ)١٩٨٧م ص١٥٢.

لذلك سأذكر طرفا منها حتى يظهر لذوي العقول فساد هذه النظرية ، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ ﴾ (١). وقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ " (٢)، وقال عز وجل: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (٣) ، وقال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٤)، وقال عز وجل: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾(٥)، وغيرها من الآيات الكثير والكثير مما يشهد بتهاوي نظرية دارون على رأسها.

---

(١) سورة الحج الآية ٥.
(٢) سورة المؤمنون الآيات ١٢:١٤.
(٣) سورة السجدة الآيات ٧:٩.
(٤) سورة القيامة الآيات ٣٧:٤٠.
(٥) سورة الطارق الآيتان ٦،٧.

والآية التي تحسم القضية قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ قال فضيلة الدكتور السيد أحمد فراج : فهذه الآية لم تشر إلى البداية الزمنية لوجود الإنسان على الأرض، ولكنها أثبتت أن الإنسان لم ينحدر من سلالة أدنى، هذا فضلا عن أن دارون وغيره من علماء الأحياء لم يتمكنوا حتى الآن من ربط جميع حلقات الخلق في الكائن الحي الواحد، وأنهم لم يعايشوا هذه الكائنات إلا فترة زمنية يسيرة من حياة امتدت في أغوار الزمان ملايين السنين(١).

هذا وقد تناول سفر الحوالي هذه النظرية بالإبطال في رسالته للدكتوراه تفصيلا فليراجعها من أرادها في موضعها(٢).

من كل ما سبق يتضح جليا بطلان نظرية دارون، وعليه يتهاوى ما بنى عليها، ولا يصح أن يجعلها المسلمون دستورا ينعقون به ويتركون دستورهم السامي القرآن الكريم، الذي نزل متواترا من عند العلي الأعلى سبحانه وتعالى، ألا فليكف هؤلاء عن استيراد مثل هذا العفن الفكري من الغرب وليقفون عند عطايا الله تعالى لهم، وليعلون من قدر تراثهم، ويعكفون عليه، يتفهمون منه آفاق نهضتهم، ومقاليد تقدمهم وإلا سيرمي بهم التاريخ في مهاوي ردية، ويلعنهم كل من مر على قبورهم؛ والله المستعان.

---

(١) جذور العلمانية ص٦٩.
(٢) العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة للدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي مخطوطة ص٦٦: ٨٠.

المبحث الثالث

مناقشة الشيخ أمين الخولي في موقفه من أدوات التفسير (السنة النبوية ـ اللغة ـ النحو ـ البلاغة ـ الأدب)

سبق أن سطرت موقف الشيخ أمين الخولي من السنة النبوية، ومن اللغة العربية من خلال مؤلفاته [١]. ويمكن إجمال ذلك بأن نقول: إن الشيخ أمين الخولي لا يكاد يتبين موقفه من السنة النبوية المطهرة أما عن موقفه من اللغة العربية فهو يرى أن أهم مشكلات اللغة العربية، هو الازدواج اللغوي الذي يجعلنا نحيا بلغة، ونتعلم وندرس بلغة أخرى، ويرى أن اللغة العربية جامدة، وأصواتها تنقص أصوات لغات أخرى، ثم هو يحررها من النزعة الغيبية في أنها لغة القرآن الكريم، وأنها أفضل اللغات، ثم يهدم علم الوضع، ويريد أن يتحرر من قيوده، ويؤمن إيمانا عميقا بدخول نظرية التطور على اللغة بعد أن دخلت على اللاغي نفسه، ثم يرى الحل في ذلك كله أن نعمل نظرية التطور على اللغة، فنعمل على استكمالها، ونحاول التقريب بين اللغة الفصحى واللغة العامية، بإنشاء لغة وسط بين اللغتين، تكون هي محور بينهما، نسعى من خلاله إلى حل مشكلات لغتنا المعقدة.

هذا إجمال لما ذكرته قبل حول موقف الشيخ أمين الخولي من اللغة العربية ، ثم يتطرق الخولي إلى علم النحو ويريد أن يدخل عليه

---

(١) راجع المطلب الأول والثاني من المبحث الأول ضمن الفصل الأول من هذا البحث.

التجديد أيضا، كما يريد أن يعبث بالقواعد التي وضعها العلماء قديما، وحفظوا بها اللسان العربي، كما يرى أنه في فعله هذا لم يخرج عن المعهود، فالنحو مثل الفقه تماما بتمام، لابد أن يدخله التجديد مثله، لذلك اقترح الشيخ أمين تعديلات للعديد من القواعد النحوية، حتى تكون سهلة على من يريد أن يتكلم باللغة العربية، وقد سبق الحديث عن ذلك تفصيلا في أثناء البحث(١).

ثم رأينا الخولي يعمل التطور في علم البلاغة أيضا فيرى أن التجديد لابد أن يمس الأصول البلاغية، فيغير فيها ويثبت، وينفي ويخالف، ويقرر حتى يصل البلاغة بالحياة.

كما يريد أن يضمن البلاغة مقدمات نفسية، يربط في هذه المقدمات بين علم البلاغة وعلم النفس، حتى يخلص بذلك إلى درر القرآن الكريم وفوائده ،كما نرى الشيخ أمين يرفض التقسيم الثلاثي لعلوم البلاغة ويرى أن هذا التقسيم لا غناء فيه، ولا قيمة له بعد تجديد علوم البلاغة، إلى غير ذلك مما سطرته قبل في موقفه منها(٢).

كما نرى الخولي لا ينسى الحديث عن الأدب، ودعوته الصريحة إلى إقليمية الأدب العربي، الذي ينقسم عنده إلى تقسيم مكاني وليس تقسيما زمانيا، كما لا يعترف الخولي بوحدة الثروة

---

(١) راجع المطلب الثالث من المبحث الأول ضمن الفصل الأول من هذا البحث.

(٢) انظر موقف الشيخ أمين الخولي من البلاغة في المطلب الرابع من المبحث الأول ضمن الفصل الأول.

الأدبية العربية، بل يريد تجزئة هذه الثروة إلى أقاليم، إلى غير ذلك مما سطرته أيضا في موقفه من الأدب[١].

أقول: وبالجملة فإن ما دعا إليه الشيخ أمين الخولي في كل ما سبق، نستطيع أن نجمله في أنه يريد أن يعمل آلة التجديد في كل هذه العلوم، حتى يصل بها إلى ما يريد – في زعمه – فيريد أن يجدد في اللغة، وفي النحو، وفي البلاغة، وفي الأدب، لذلك كله ستكون مناقشتي له في هذا الجانب مجملة لأنها ترتبط برباط واحد تنتظم فيه وهو إعمال التجديد في هذه الأدوات التفسيرية؛ فأقول وبالله التوفيق:

أ- مناقشة الشيخ أمين الخولي في موقفه منن السنة النبوية

في حقيقة الأمر وكما سبق أن ذكرت في إجمال معالم فكر الشيخ أمين الخولي، لم يظهر للخولي موقف واضح من السنة النبوية، نستطيع أن نحاكمه إليه، ولكن وردت بعض إشارات في خلال كتبه تظهر أن الخولي يرى أن السنة لها مكانتها من التشريع، وموقعها من الدين حينا، وإشارات أخرى وإلغازات تظهر أن الخولي ربما لا يعتد بالسنة، ولو كانت صحيحة بل في أصح الصحيح[٢].

ولا أدري ماذا يمكن أن يقال في هذا للخولي، فإننا إذا آخذناه بإشاراته الأولى رأينا أنه كغيره من أرباب العلم ذوي الفكر المستقيم، وإذا آخذناه بإشاراته الأخرى ربما وضعناه في طائفة أخرى غير التي

---

(١) انظر موقف الشيخ أمين الخولي من الأدب في المطلب الخامس من المبحث الأول ضمن الفصل الأول.

(٢) انظر موقف الشيخ أمين الخولي من السنة النبوية في المطلب الأول من المبحث الأول ضمن الفصل الأول.

ينبغي أن يكون فيها، ولكن ما أستطيع أن أشير إليه هنا، هو أن أذكر بعض إشاراته على المنحى الأول بإظهار مكانة السنة، وبعض إشاراته على المنحى الآخر بعدم قبول السنة ولو كانت صحيحة فأقول :

من الإشارات التي تظهر إجلال الخولي لقيمة السنة النبوية دفاعه المستميت عن سيرة النبي ﷺ في التعليق على مادة السيرة النبوية في دائرة المعارف الإسلامية . حيث تكلم عن هذه المادة أحد كتاب الغرب ، ثم علق الشيخ أمين الخولي على هذه المادة بعد ذلك ، ونحن نورد هنا كلام الشيخ الخولي ، ومن خلال تعليقه يتضح كلام الكاتب الأوربي هذا ، فنقول:

– استعاذ أمين الخولي بداية بالله من همزات الشياطين ، واستعاذ بربه أن يحضرون ، ثم بدأ يرد على أول ما كتب هذا الكاتب من أن النبي ﷺ في نظر أتباعه صورته صورة الملوك البهلوية ، وأنه لا يختلف اختلافاً مشهوداً عن أمراء الجاهلية ،فقال أمين الخولي ما فحواه ما يأتي:

– في قولك أيها الكاتب أن أتباع النبي ﷺ ينظرون إليه نظرهم إلى الملوك البهلوية ، التي كان يعرفها العرب قبل الإسلام ، ما دليلك على ذلك؟ وما الشاهد عليها من خبرهم ، وعن أي إحصاء صدرت هذه النظرة، وهل منهجك في هذا الكلام دقيق[١].

---

(١) دراسات إسلامية صـ٥١.

– ذكرت الأمراء في الجاهلية وجعلت محمداً كأحدهم ، لا يختلف إختلافاً مشهوداً ، فماذا كان الأمراء في تلك الحياة القبلية الأبوية الطابع، ومن هم أمراء الجاهلية الذين كانوا قواداً ذوي ألوية انتصر أتباعهم تحت قيادتهم ؟ وهل المنهج في هذه الدعاوي دقيق؟!

– هل الاتجاه إلى ظواهر الملكية والإمارة في اعتبار أتباع النبي محمد ﷺ يتفق في شيئ مع الرسول ﷺ وهو في مقام الرسالة التي هي أشرف بكثير من الملكية على تقرير بشريته ومماثلته للناس؟!

– هل الاتجاه إلى الملكية والإمارة يتفق مع تصرفات النبي ﷺ كنهيه أصحابه عما تفعله الأعاجم بملوكها ؟!

– هل كانت طبيعة الحياة العربية حول الرسول ﷺ تهيئ له مثل هذا الاتجاه إلى الملكية والإمارة؟!

– متى قاتل محمد ومتى صار قائداً ﷺتكون صورته عند جل أتباعه هي صورة قائد انتصروا تحت رايته ؟! إنه عاش بضعاً وعشرين سنة لم يجرد سيفاً في أكثر هذه المدة حتى نجحت دعوته وتكون المجتمع الإسلامي.

– هل كان محمدا ﷺ يأخذ بين أصحابه صورة القائد المتفرد أو أنه كان ينزل على مشورتهم؟!

– هل كانت فترة الجهاد في حياة محمد ﷺ فترة انتصارات فقط أم تخللها هزائم، إن حروبه كلها كانت حروب مقاومة ودفاع لم تكن غزواً ولا سطواً[1].

---

(١) دراسات إسلامية لأمين الخولي صـ٥٢

هذا ما كتبه الشيخ أمين الخولي في تعليقه على مادة "سيرة" في دائرة المعارف الإسلامية ولعل من الملاحظ هنا مدى ما كان يراه الخولي للنبي ﷺ من قداسة.كما تظهر إشارات الخولي إلى مكانة السنة أيضا عند تعليقه على مادة الشريعة، ومادة الطلاق، وعندها يظهر أن السنة بينت ووضحت ما لم يذكره القرآن الكريم، فيقول: ولكن لم يعرض القرآن الكريم لأمر الطلاق ثلاثا متتابعة فاختلفت فيه الروايات الحديثية ،كذا بينت السنة حكم المحلل، وحكم الطلاق قبل الزواج، ومما أهمله القرآن في أمر الطلاق طلاق الأرقاء والعبيد، فأوضحت السنة ذلك، ووضحت أمر النية، وموقعها في الطلاق، وطلاق المكره، والمجنون، ومن لم يتزوج، وأمر المزاح في الطلاق[١].

إلا أن الشيخ أمين الخولي كان يلغز أحيانا بأن السنة أو بعضها لا يصلح خطابا في هذا الزمان حيث قال: وهل ترى أن من اليسير اليوم والصور تتحرك، وتنطق، وتوضح، وتعلم، أن نقول: إن التصوير حرام، وأن أشد الناس عذابا المصورون[٢].

ويقول: فما أحسب البدء اليوم بالحديث عن الاستنجاء بالأحجار عددها أنواعها وما إلى ذلك[٣].

وحتى أكون منصفا مع الشيخ أمين الخولي –رحمه الله– لا أتهمه بأنه كان ينتقص السنة النبوية أو لا يعرف لها قدرها، وإنما

---

(١) دراسات إسلامية لأمين الخولي ص٩٤.
(٢) المجددون في الإسلام ص٥٩.
(٣) المجددون في الإسلام ص٦٣.

أقول لعله أراد بما قال أن يوجه النظر إلى إعمال قضية التطور في فهم النصوص، أو ما يستخرج منها، ولا سيما أنه صرح عند ذكر هذه الأحاديث، وتلك الإشارات إلى أن التطور لابد أن يدخل إلى مجال العقائد، والعبادات، والحياة العملية(١).

بـ الدعوة إلى إعمال التجديد في اللغة وأدواتها

في الحقيقة إن الدعوة إلى التجديد وإدخاله مجالات اللغة العربية بكل فروعها من نحو وأدب وبلاغة دعوة قديمة، تكاد تكون قبل ولادة الشيخ أمين الخولي بأربعة عشر عاما، وتحديدا سنة ١٨٨١م حين اقترح "المقتطف" كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها الناس في حياتهم العامة، ودعا رجال الفكر إلى بحث اقتراحه هذا، ثم رأينا هذه الدعوة قد هاجت مرة أخرى سنة ١٩٠٢م، حين ألف أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية في مصر من الإنجليز – وهو القاضي ولمور– كتابا سماه "لغة القاهرة"، ووضع للغة فيه قواعد جديدة، واقترح أن تكون لغة للعلم والأدب، كما اقترح أن تكتب اللغة العربية بالحروف اللاتينية، وانتبه الناس للكتاب عندما أشادت به جريدة "المقتطف" في باب "التقريظ والانتقاد" فحملت عليه الصحف، مشيرة إلى موضع الخطر من هذه الدعوة، التي لا تقصد إلا إلى محاربة الإسلام في لغته، وكتب في هذا الحين حافظ إبراهيم قصيدته المشهورة التي قالها على لسان اللغة العربية وفيها:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ∴ وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني ∴ عقمت فلم أجزع لقول عداتي

---

(١) انظر المطلب الأول من المبحث الثالث ضمن الفصل الأول.

ولـــدت ولـــا لم أجـــد لعرائســـي ∴ رجـــالا وأكفـــاء وأدت بنـــاتي

ثم ثارت هذه الدعوة مرة أخرى، حين دعا انجليزي آخر حـــين كان مهندسا للري في مصر وهو "وليم ولكوكس" سنة ١٩٢٦م إلـــى هجر اللغة العربية، وخطا بهذا الاقتراح خطوة عملية، فترجم أجـــزاء من الإنجيل إلى ما سماه اللغة المصرية، ونوه به في وقتها الكاتـــب سلامة موسى، وكتب كتابه "اليوم والغد" والذي احتوى على مقـــالات نشرها قبل ذلك بعامين، ثم أضيف إليه مقـــالان عنـــد نشـــره ســـنة ١٩٢٧م، وهذا الكتاب يعد دعوة صريحة إلى هدم اللغـــة العربيـــة، والعبث بقواعدها، ولم يبال سلامة موسى ساعتها ســـخط النـــاس أو رضاءهم عما يفعله ويقوله، فعرض ذلك بكل صراحة، ووافق هذا أن التقى بفكره مع أفكار الدكتور طه حسين في كتابه "مستقبل الثقافـــة في مصر"، الذي كتب أفكار سلامة موسى غير أنهـــا اتســـمت فـــي أسلوبها بالدهاء وإرادة إقناع القارئ بالفكرة دون الصراحة العاريـــة التي التزمها سلامة موسى.

يقول سلامة موسى في كتابه هذا: "لنا من العرب ألفاظ فقط، ولا أقول لغتهم بل لا أقول كل ألفاظهم، فإننا ورثنا عـــنهم هـــذه اللغـــة العربية، وهي لغة بدوية لا تكاد تكفل الأداء إذا تعرضت لحالة مدنية راقية ،كتلك التي نعيش بين ظهرانيها الآن"

ويظهر من طه حسين في كتابه أنه يريد "الدعوة إلى إخضـــاع اللغة العربية لسنة التطور، ودفعها إلى طريق ينتهي باللغة الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم، إلـــى أن تصـــبح لغـــة دينيـــة فحســـب كالسريانية والقبطية واللاتينية واليونانية[١].

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر لطه حسين ، مصر ١٩٤٤، ص٤١.

ويقول أيضا: "إن اللغة العربية عسيرة، لأن نحوها ما زال قديما عسيرا، ولأن كتابتها ما زالت قديمة، عسيرة"(١).

ولا يكتفي طه حسين وأعوانه عن الدعوة إلى إصلاح قواعد اللغة، بل هو يريد -كما يقول-: "أن نعمد إلى إصلاح أعمق من هذا الإصلاح، يتناول الكتابة والقراءة، ويعصم الناس إلى حد بعيد من الخطأ، حين يكتبون وحين يقرءون"(٢).

ثم أخذت هذه الدعوة في الانتشار، فانتقلت إلى المسرح الهزلي، ثم إلى المسرح الجدي، حين تجرأت فرقة تمثيلية سمت نفسها بفرقة رمسيس، ووجدت مسرحياتها رواجا بين الناس، ثم انتقلت الدعوة إلى العامية وانتهاك حرمة اللغة العربية إلى السينما، وأول ما عرض بها رواية "زينب" لهيكل، وكان قد كتب حوارها باللغة السوقية، ثم انتقلت الدعوة إلى مكان، ربما لا يخطر لعاقل على بال، وهو مجمع اللغة العربية الحصين التي ترتمي في أحضانه اللغة العربية، إن هي خافت على نفسها الأخطار، ظهر ذلك على يد دعاة هم من أعضاء المجمع، على رأسهم عيسى اسكندر المعلوف، وعبد العزيز فهمي، وغيرهما حتى جاء عصر أمين الخولي وأحيا هذه الدعوة، ولكن على أسس وضوابط فالرجل – بحق- كان ذا فكر، متفوقا بين أقرانه، يستطيع أن يصل إلى ما يرنو إليه بفكر وروية، فقعَّد القواعد التي أعمل فيها التجديد في قواعد اللغة العربية، والنحو، والبلاغة، وتطرق إلى الأدب – مما ذكرته قبل ذلك في أثناء البحث- وناقش

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر ص١٩٥.
(٢) مستقبل الثقافة في مصر ص٢٣٦ وما بعدها.

أعضاء المجمع اللغوي، وعرض عليهم العديد من القضايا، مما يجعلني أقول له بكل صراحة: ما أشبه الليلة بالبارحة؛ فلقد أحييت سيرة الأقدمين من أرباب فكرك طه حسين، وسلامة موسى، وعبد العزيز فهمي، وعيسى اسكندر، فلقد كنت تلميذا نجيبا عاشوا فيك كتلميذ لأفكارهم ،كما تريد أن تعيش أنت في تلاميذك، أكثر من أن تعيش في كتاب وإني لأستميحك عذرا يا شيخ أمين لأظهر لك ما هي المصائب والبلايا والطامات، التي تحدث للأمة الإسلامية، وللغة العربية، وللعقل العربي، لو أعملنا ما تريده أو بعض ما تريده حول اللغة العربية وأدواتها، وأستدعي في ذلك أقوال العلماء من أقرانك، وممن سبقوك، وممن جاءوا بعدك، حتى تأخذ الكلام منهم بقبول.

كتب الشيخ مصطفى صادق الرافعي كتابه الماتع "المعركة بين القديم والجديد"، على إثر الدعوات التي كانت في عصره من طه حسين، وسلامة موسى، والتي هي متطابقة تماما مع ما دعا إليه الشيخ أمين الخولي، من إعمال التجديد في اللغة العربية، ومن هدم لقواعدها، واقتراح قواعد أخرى، بل ما أراده الشيخ أمين أعمق وأصعب على نحو ما قاله بلسانه، عندما ذكر أن لجنة طه حسين في التعديل لبعض قواعد اللغة العربية اشترطت ألا تمس أصلا من الأصول، لكن الشيخ أمين ذكر أن دعوته إلى إصلاح اللغة لابد أن تمس الأصول، وترفع وتثبت، وتقدم وتؤخر، وتغير وتحول، إلى غير ذلك مما ذكره وسطرته في أثناء ذكر مقولاته في هذا البحث.

لذلك صور الشيخ مصطفى صادق الرافعي الذين يهاجمون اللغة العربية وأساليبها وأدبها، كرجل يسمى أبو خالد النميري تروي كتب

الأدب، أنه كان قد ولد في البصرة، ونشأ بها في القرن الثالث الهجري، ثم خرج إلى البادية، فأقام فيها أياما يسيرة، وعاد بعد ذلك يتجافى في ألفاظه، ويتكلف لغة الأعراب، حتى لقد روى أنه رأى الميازيب على سطوح الدور وأنكرها – والميزاب مجرى فوق سطح الدار يمر به المطر عند نزوله حتى ينزل من على سطح الدار وأشهر ميزاب هو ميزاب الكعبة المشرفة فتَحْته يستجاب الدعاء – فأنكرها أبو خالد وقال: ما هذه الخراطيم التي لا نعرفها في بلادنا؟ والرجل إنما ولد في البصرة، ونشأ بها، ولم يقم في البادية إلا أياما، حتى قال الرافعي: بأن من يتهجم على جناب اللغة العربية، فهو يتهجم على الدين الإسلامي فيقول: ولن تجد ذا دخلة خبيثة لهذا الدين إلا وجدت مثلها في اللغة(١).

ويعود الرافعي فيصور لنا أهل اللغات الأخرى، كيف كانوا يعتزون بلغتهم، فيروي ما بلغه عن الشيخ إبراهيم اليازجي حين كلف بتصحيح ترجمة الأناجيل، فرغب في تهذيب أسلوبها، بما يزيل عجمتها، ويخلصها من فساد التركيب، وسوء التأليف، فأبوا عليه ذلك ومنعوه كل المنع منه(٢).

وينقل الرافعي في كتابه هذا رأي شكيب أرسلان، الذي يقول عن المجددين: "منهم من يريدون هدم الأمة في لغتها وآدابها خدمة لمبدأ الاستعمار الأوربي، ومنهم من يشير إلى استعمال اللغة العامية

---

(١) المعركة بين القديم والحديث لمصطفى صادق الرافعي ، مصر ١٣٧٢=١٩٥٣، ص١٩.

(٢) المعركة بين القديم والحديث ص٢٥.

بحجة أنها أقرب إلى الأفهام، ولكن منهم من يحاول هدم الأمة في لغتها وآدابها، لا حبا في اللغة والآداب، ولكن علما باستحالة تنصل العرب من لغتهم، وآدابها، ولذلك ترى هؤلاء دعاة إلى اللغة والآداب على شرط أن لا يكون ثمة قرآن ولا حديث، وأن تكون الصبغة لا دينية، وحجتهم في ذلك حب التجدد، وكون القرآن والحديث وكلمات السلف كلها من القديم، الذي لا يتلائم مع الروح العصرية في شيء، ويروي شكيب أرسلان في هذا الصدد قصة غريبة عن أحمد فارس الشدياق، تشبه قصة الرافعي عن اليازجي ذلك أن الشدياق كان يعرِّب التوراة وهو في انجلترا، فكان يقف على الترجمة العربية قسيس انجليزي، تعلم شيئا من العربية، فكان هذا القس كلما رأى للشدياق كلمة يُشتَّمُ منها رائحة الفصاحة مسخها، واستبدل بها جملة ركيكة، فكان الشدياق يعجب من ذلك، فصرح له بأنه يتوخى بذلك إبعاد الكلام عن شبه القرآن، واستخلص شكيب أرسلان من هذه القصة أن هذه الفئة من المستترين خلف التجديد، لا تحارب اللغة العربية نفسها، ولكنها تحارب منها القرآن، والقرآن فقط"(١).

ولله در الدكتور محمد محمد حسين، حين يفند مزاعم الطاعنين في اللغة العربية، والمقترحين لها حلول التجديد فيقول: يزعمون أن قواعدها صعبة معقدة، وفي اللغات الأوربية الحية ما هو أشد منها صعوبة، وتعقيدا كالألمانية، ويقولون: إن الشاذ فيها من غير القياسي كثير، والشذوذ في صيغ الأفعال، وفي صيغ الجمع،

---

(١) راجع المعركة بين القديم والحديث ص٢٤: ٣٠ حيث أورد الرافعي مقال شكيب أرسلان ضمن كتابه المعركة.

والتأنيث، وفي المصادر يملأ اللغات الأوربية كلها، والشواهد عليه لا تحصى، وقالوا: إن الكتابة فيها غير ميسرة، مع أن مطابقة الصوت المسموع للصورة المقروءة هي في اللغة العربية أوضح منها في الإنجليزية وفي الفرنسية، الذين يتقنهما معظم المتذمرين، وصانعي الفتن من الهدامين.

فالفرنسي يسقط من النطق أربعة حروف من أواخر الكلمات في كثير من الأحيان، والإنجليزي يفعل ذلك في مثل حرفي(h-o)في (Honowr) وحرفي (gh) في (Right) وهو بعد ذلك يكتب الصوت الواحد في ست صور أحيانا، مثل الياء التي تصور الكسرة الطويلة في مثل "كبير" إذ هذا الصوت يكتب في اللغة الإنجليزية على ست صور متعددة، لا يميز إحداها عن الأخرى منطق أو قواعد وهي (e,e- y- e- ei- ea- ee) بينما لا يكتب في العربية إلا ياء.

وحرف الكاف لا يكتب في العربية إلا كافا، وهو يكتب في الإنجليزية على صور عدة هي (ch- q- ck- k- c) وقس على ذلك ما لا سبيل إلى إحصائه هنا.

ثم إن لكل صوت في العربية حرفا واحدا يصوره، وبعض الأصوات اللغوية لا يصورها إلا حرفان في الإنجليزية مثل حرف ش في العربية، ويقابله في الإنجليزية (sh) وحرف الذال في العربية ويقابله فيها (th).

وميزة أخرى في الكتابة العربية، وهي أن الحرف لا يقرأ إلا على صورة صوتية واحدة، وليس كذلك الحرف الإنجليزي فحرف (c) ينطق س حينا، وينطق ك حينا آخر.

أيقال بعد ذلك كله أن العربية معقدة نحوا، أو كتابة، والذين يشكون من صعوبتها أو يتشاكون يتقنون ما هو أكثر تعقيدا ولا يخطئون فيه ؟[١].

قلت: وفي كل ما سبق يرد الدكتور محمد محمد حسين على ما ذكره الخولي نصا حول صعوبة اللغة وحول حروفها وأصواتها.

ثم يواصل الدكتور محمد محمد حسين الرد على هؤلاء، وعلى رأسهم الشيخ أمين الخولي فيقول: ويقولون: إن اللغات الأوربية قد تطورت، فيجب أن تتطور لغتنا كما تطورت لغاتهم، وهناك فرق بين التطور والتطوير، تتطور اللغة بأن تفرض عليها قوانين قاهرة هذا التطور، أما التطوير فهو سعي مفتعل إلى التطور، وهو إرادة إحداث هذا التطور دون أن تكون له مبررات تستدعيه، والتطور لا يسعى إليه ولا يصطنع، ولكن يفرض نفسه فلا نجد بدا منه، وأي نعمة وأي مزية في تطور اللغات الأوربية، حتى نسعى إلى افتعال نظيره في لغتنا؟ إن هذا التطور كان نكبة على أصحابه، قطعهم أمما بعد أن كانوا أمة واحدة، فما زالوا في خلاف وحروب منذ ذلك الوقت، ثم إنه يحكم على تراثهم القديم المشترك بالموت، بل هو لا يزال يقضي بين الحين والحين على التراث القومي لكل شعب من هذه الشعوب بالموت، حتى ما يستطيع الإنجليزي اليوم من عامة الشعب أن يفهم لغة شكسبير، الذي مات في القرن السابع عشر، بينما لا يستطيع الإنجليزي المثقف أن يقرأ ما قبل شكسبير، مثل تشوسر، ولا يقدر

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر لمحمد محمد حسين ، طبعة دار الرسالة ، سنة ١٣٧٣=١٩٥٤، ٢/٣٦٦.

عليه إلا قلة من المتخصصين، ومثل ذلك الفرنسية والإيطالية وسائر اللغات الأوربية الحديثة، أما نحن العرب على اختلاف أقدارنا من الثقافة، فنقرأ القرآن ونفهمه إلا قليلا، مما ترجع صعوبته إلى دقة المعاني في أغلب الأحيان، ونقرأ رسائل الجاحظ، وأغاني أبي الفرج الأصفهاني، فلا نكاد نحس فارقا بين أسلوبها، وأسلوب بعض المعاصرين.

فلماذا نسعى إلى أن نفقد أنفسنا هذه المزايا التي لم تفرض علينا فقدها ضرورة من الضرورات؟ لماذا نحسد أوربا التي ابتليت بذلك على مصابها؟[١]

قلت: إن هذه الأسئلة توجه إلى أهل هذه الدعوات وعلى رأسهم الشيخ أمين الخولي، الذي يتهم اللغة بالجمود، وبالصعوبة، وبالاضطراب، ويريد أن يعمل فيها سنن التطور، الذي هو في أساسه تطوير مفتعل، وليس تطورا.

هذا ولقد أبطل المدافعون عن العربية مزاعم خصومها، فأبرز خليل اليازجي في رده على اقتراح المقتطف سنة ١٨٨١م نقطتين: أولاهما هي أن اتخاذ العامية لغة للكتابة فيه هدم بناية التصانيف العربية بأسرها، وإضاعة كثير من أتعاب المتقدمين، ثم تكلف مثلها في المستقبل، وأما النقطة الأخرى فهي أن عامة الناس وجهالهم يفهمون العربية الفصيحة، ويتذوقونها على غير ما يدعيه خصوم العربية، وكفانا من أمثلة ذلك ما يراه كل منا ويسمع به من ليال

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢/ ٣٦٧.

تحيا حتى مطلع الفجر في قراءة الحكايات العربية، من نحو قصص عنترة، وكتاب ألف ليلة وليلة، وبعض الروايات المترجمة عن الإفرنجية، وكلها فصيحة العبارة بمعنى أنها ليست من لغة العامة في شيء، إلا ما هو من سقط الكتاب في بعضها، ومع ذلك فهي مفهومة من سامعيها، ولو كانوا من أجهل العامة يتهافتون على سماعها، ويحفظونها، ويتناقلون وقائعها على ما هو مشهور، وذلك أن لغة العامة لا تباين لغة الفصيح في غالب الأمر، إلا من جهة الإعراب، وهو لا يقف في طريق المفهوم، وما لا يفهمونه من الغريب، أو مما هو غريب بالنسبة إليهم، فلأكثره مرادفات من لسانهم من نفس الفصيح[١].

وأبرز الهلال في رده على أحد قرائه سنة ١٩٠٢م النقاط الآتية:

١- أن المسلمين لا يستغنون عن الفصحى لمطالعة القرآن والحديث وسائر كتب الدين.

٢- أن اللغة العربية ليست غريبة على الأفهام، إلا إذا أريد التقعر واستخدام الألفاظ الغريبة.

٣- أنه لا يجوز قياس اللغة العربية على اللاتينية، لأن الفرق بين اللغتين شاسع، فالعامي الإنجليزي والفرنسي مثلا ينظر إلى اللاتينية على أنها لغة غريبة، أما العامي العربي فإنه يفهم

---

(١) مجلة المقتطف، نمر فارس، يعقوب صروف، مكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة، العدد٦/ ٤٠٤، ٤٠٥.

اللغة العربية الفصحى، وإذا فاته فهم بعض الألفاظ فإن المعنى الإجمالي يندر أن يفوته.

٤- أما الزعم بأن نسهل اللغة العربية، وننتج منها لغة وسطا نكتب بها العلم، فزعم باطل بامتياز لأن سائر الأمم يكتبون العلم بلغة لا يفهمها عامتهم، يسمونها لغة علمية، فالعامي من الفرنسيين لا يفهم ما كتبه رينان في فلسفة التاريخ، والعامي الإنجليزي لا يفهم ما كتبه سبنسر في فلسفة العمران، والعامي من الألمان لا يفهم ما كتبه شوبنهور في فلسفة الوجود(١).

ثم إن قواعد النحو التي يزعمون أنها معقدة، فقد استطاعت أن تعيش أكثر من ألف سنة، أنتج الناس خلالها في مختلف الأقطار والأمصار العربية ثروة هائلة من الكتب الصحيحة العربية لا تحصى، وهذه القرون العشر أصدق شهادة لصلاحية النحو من كل ما يزعمون، ويؤيد هذه الشهادة أن الناس منذ قرن واحد أو أكثر قليلا، كانوا لا يكادون يقيمون اللغة العربية، ولا يقدر على كتابة مقال سليم اللغة إلا نفر قليل منهم، وقد استطاعوا رغم ما لقيت العربية في أوطانها من حرب الاحتلال الجائر خلال فترة طويلة، أن يجيدوها فهما وكتابة في هذه الفترة القصيرة، وهم لم يجيدوها بتبسيط النحو، ولا بتبسيط قواعد الكتابة، ولكنهم أجادوها بحفظ النحو، وبحفظ قواعد الكتابة، ومن المحقق أن الجيل السابق الذي نشأ على توقير قواعد النحو، وإتقانها، خير من هذا الجيل الذي لا يزال يتقلب بين

---

(١) مجلة الهلال عدد فبراير ١٩٠٢م ص٣٢١.

مشاريع، وتجاريب للتبسيط والتيسير تحتاج إلى ألف عام لكي تثبت أنها لا تقل عن القواعد التي يقترح الاستغناء عنها، فضلا عن أن تفضلها وترجح عليها[١].

أما عن دعوة الشيخ أمين الخولي إلى إقليمية الأدب في كتابه "في الأدب المصري" فهي دعوة هدامة أيضا، تحاول صرف الناس عن الاهتمام بالأدب العربي القديم، فهذه الدعوة تارة تخص الآداب القومية بمزيد من عناية الدارسين، فتعني مصر بالأدب المصري، وتعني العراق بالأدب العراقي، ويعني الشام بالأدب الشامي، وتارة تدعو إلى توجيه عناية خاصة للآداب الحديثة، وتارة أخرى تدعو إلى العناية بما يحلو لبعض الناس الآن أن يسميه الأدب الشعبي، والهدف الأول والأخير من كل هذه المحاولات هو صرف الناس عن الثقافة العربية القديمة، وتقليل العناية بالماضي العربي الإسلامي، شعره، ونثره، وتاريخه، وعلومه، بزعم أنها أصبحت شيئا لا يلائم حياتنا، ولا يتصل بها، والجانب الهدام من هذه الدعوة، هو أنها تؤدي إلى تفريق المجتمع العربي بل الإسلامي، الذي يلتقي عند الاشتراك في مناهج دراسة العربية، وتذوق أساليبها فليس في العرب واحد لا يعرف الأعلام الشامخة في الأدب العربي القديم، مثل زهير، والنابغة، والأعشى، وحسان، والفرزدق، وليس فيهم واحد لا يقع هؤلاء من نفسه موقع الإكبار والإجلال والتوقير، وكل العرب يسمون الفاعل فاعلا، ويسمون المفعول به مفعولا به، ويسمون التشبيه تشبيها، والاستعارة استعارة، ويسمون كل باب من أبواب البلاغة باسمه،

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢/ ٣٧٥.

ويعرفونه بوسمه، فإذا انصرف الناس عن دراسة الأدب القديم، وذهب كل واحد منهم مذهبه في دراسة آداب بلده، أو في دراسة الآداب الحديثة، أو في دراسة الأدب الشعبي، لم يبق هناك قدر مشترك بين ثقافات الجيل القادم من العرب بل المسلمين، وهذا القدر المشترك من الذوق، ومن التفكير الذي لا تفاهم ولا تواصل بغيره، وإذا انصرف الناس عن دراسة علوم الآداب العربية كالنحو والبلاغة، وجروا وراء كل ناعق يزعم أن القواعد معقدة، وذهب كل واحد منهم مذهبه في استنباط قواعد جديدة، وتسمية المسميات بأسماء مبتكرة لم يفهم أحدهم عن الآخر.

لذلك كانت هذه الدعوات الهدامة كلها تستهدف غايتين:

الأولى: تفريق المسلمين عامة، والعرب خاصة بتفريقهم في الدين، وتفريقهم في اللغة، وتفريقهم في الثقافة، وقطع الطريق على توسع اللغة العربية المحتمل بين مسلمي العالم.

الثانية: قطع ما بينهم وبين قديمهم، والحكم على كتابهم القرآن الكريم وكل تراثهم بالموت، لأن هذا القديم المشترك هو الذي يربطهم ويضم بعضهم إلى بعض[١].

إن الخطر المحدق في هذه الدعوات، إنما هو قبول مبدأ التطوير، فالذين يجتمعون اليوم على تكلم عربية واحدة فصيحة، ويلتزمون فيها قواعد موحدة لغة وكتابة، إذا سلموا بمبدأ التطوير، وأخذوا فيه، فسوف لا يتفقون على سبيل واحد يسلكونه في ذلك،

---

(١) الاتجاهات الوطنية ٣٨٢/١ وما بعدها بتصرف.

وسيذهب كل واحد منهم مذهبا يغاير مذهب الآخر، ثم إنهم سوف لا ينتهون عند حد معين من التطوير، وعندها ستضيع الروح التي اجتمع عليها المسلمون قاطبة على قداسة اللغة، التي نزل القرآن الكريم بها، والتزمهم أن لا يخرجوا عن أساليبها وقواعدها، على أن ذلك لم يكن في يوم من الأيام داعية إلى تحجر اللغة، وجمود مذاهب الفن فيها، ووقوفها عند حد تعجز معه عن مسايرة الحياة، فليس التطور نفسه هو المحظور، ولكن المحظور هو أن يخرج هذا التطور عن الحدود المقررة المرسومة، وذلك يشبه تقيد الناس في حياتهم الاجتماعية بقوانين الدين والأخلاق، فليس معنى ذلك أنهم قد استعبدوا لهذه القوانين، وأنها صارت تحول بينهم وبين مسايرة الحياة، ولكنه يعني أنهم يستطيعون أن يغدوا ويروحوا كيف شاءوا، وأن يستمتعوا بخيرات الدنيا كيف شاءوا، لكن كل ذلك في حدود ما أحل الله، وكل ذلك مع الالتزام بالوقوف عند حدود الله تعالى، كذلك اللغة وضع اللغويون والنحاة والبلاغيون والأدباء لها حدودا، طابقوا بها مذهب القرآن وشعر الشعراء العرب، وتركوا للناس من بعد أن سيتحدثوا ما شاءوا من أساليب، وأن يتصرفوا فيما أرادوا من أغراض، وأن يجددوا ما أحبوا مما يشتهون، ولكن كل ذلك ينبغي أن لا يخرج عن الحدود المرسومة، فماذا بعد ذلك غير ضمان الاستقرار، والحرص على جمع الشمل[١]؟

وبعد؛ فأقول: لعلي بعد ذلك أكون قد وفقت في إظهار دعوات الشيخ أمين الخولي حول السنة النبوية واللغة العربية والنحو

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢/ ٣٨٧.

والبلاغة والأدب من خلال كتبه، وربطت لك عزيزي القارئ بين هذه الدعوات الأمينية، وبين دعوات سابقيه ممن آزرهم في دعواتهم، ثم أوردت كلام العلماء في الرد على هؤلاء جميعا، وأنا لا أحاكم الشيخ أمين على نيته من وراء ما سطر من إرادة التجديد في اللغة وآدابها، لأن الله هو من يحاسب على النوايا ويعلمها – جل في علاه – وإنما التزمت الحديث مع الخولي فيما كتب، ووافق به أصحاب هذه الدعوات التي إن أعملنا دعواتهم هذه ،كانت معول هدم للتراث، واللغة، والقرآن، والإسلام، على حد سواء، والذي يطالع ما سطرت قبل في أثناء البحث من مقولات الخولي يجد التطابق، والتطابق بعينه لا غيره مع هذه الدعوات الهدامة؛ وإنا لله وإنا إليه راجعون.

المبحث الرابع
مناقشة الشيخ أمين الخولي
في موقفه من التفسير

من مطالعة ما كتب الشيخ أمين الخولي حول التفسير في كتابه "التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم"، ومن مطالعة سائر كتبه، التي أومأ فيها إلى الحديث عن التفسير قديما وحديثا، فهو لا يقبل القديم كاملا، كما لا يقبل الجديد كاملا، وسيظهر ذلك من خلال مناقشته في موقفه من التفسير فنقول:

أولا: سبق الحديث أن الشيخ أمين الخولي أنكر التفسير العلمي للقرآن الكريم إنكارا تاما، وحمل عليه حملة شعواء، وقد نقلت كلامه في هذا المضمار أثناء البحث(١)، وننقل هنا بعض قوله في هذا المجال حيث يقول: "كيف تؤخذ جوامع الفلك والطب والهندسة والكيمياء من القرآن، وهي جوامع لا يضبطها اليوم أحد إلا تغيير ضبطه لها بعد يسير من الزمن أو كثير، وما ضبطه منها القدماء قد تغير عليهم فيما مضى، ثم تغير تغيرا عظيما فيا تلا"(٢).

ولأننا نناقش الشيخ أمين الخولي مناقشة موضوعية، فإننا لن نتحامل عليه، ولكن سنذكر ما له وما عليه، فنقول: إن معارضة الشيخ أمين الخولي للتفسير العلمي لا يؤاخذ عليها، لأنه لم يخرق

---

(١) انظر موقف الشيخ أمين الخولي من التفسير العلمي في المطلب الأول من المبحث الثاني ضمن الفصل الأول.
(٢) دراسات إسلامية ص٣٢.

فيه الإجماع، ولكن ذهب كثير من علماء التفسير إلى مقولته هـذه، وعلى رأس هؤلاء العلامة الفقيه الأصولي أبو إسحاق إبـراهيم بـن موسى الشاطبي الأندلسي المتوفى سنة٧٩٠هـ، حيث عقد فصلا في كتابه "الموافقات لمقاصد الشرع" أنكر فيها هذا اللـون مـن ألـوان التفسير(١).

وكذلك الإمام محمـد حسـين الـذهبي فـي كتابـه "التفسـير والمفسرون"، وأورد على ذلك الأدلة المتكاثرة في هذا الشأن(٢)،ونقل كلام المعارضين لهذا اللون من ألوان التفسير، ومنهم الشيخ محمود شلتوت –رحمه الله– والشيخ رشيد رضا، والعلامة محمد مصـطفى المراغي، وغيرهم(٣).

وممن ثم لا نستطيع أن ننكر على الشيخ أمين الخولي ميله إلى أحد المناهج المعتبرة عند المفسرين، ولا سيما إذا مـال إلـى هـذا الرأي، ودلل عليه بحجج قوية كما قال الشيخ محمد حسين الـذهبي عندما نقل معارضته لهذا التفسير العلمي فقال: "وهذا هو الشيخ أمين الخولي يتناول هذا الموضوع في كتابه "التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم"، وفيه يرد على أنصار هذا المذهب في التفسير بحجـج قويـة واضحة، استفدنا منها كثيرا في تأييد ما اخترنا من المذهبين"(٤).

---

(١) الموافقات للإمام الشاطبي ٦٩/٢.
(٢) التفسير والمفسرون للعلامة الدكتور محمد حسين الذهبي ، طبعة مكتبة وهبة ، الطبعة السابعة ١٤٢١هـ) ٢٠٠٠م ، ٣٥٩/٢.
(٣) التفسير والمفسرون ٣٧٩/٢.
(٤) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي ٣٨٠/٢.

ثانيا: نادى الشيخ أمين الخولي بلون آخر من ألوان التفسير للقرآن الكريم، وهو التفسير الأدبي غير أن هذه الدعوة أيضا ليست دعوة جديدة ، فلقد سبق بها الشيخ الخولي كما ذكر في كتابه "التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم"، وكما هو واقع الأمر حيث نادى الشيخ محمد عبده بهذا اللون من ألوان التفسير قبل الشيخ أمين الخولي، ولكن هناك فرق شاسع بين الدعوتين.

الفرق بين دعوة الشيخ أمين الخولي للتفسير الأدبي ودعوة الشيخ محمد عبده

في الحقيقة أن الفرق بين الدعوتين جوهري ، حيث اتحدتا في الوسيلة، واختلفتا في المقصد، فكل منهما دعا إلى التفسير الأدبي، ولكن العلامة الشيخ محمد عبده كان له مقصد جليل من وراء هذه الدعوة، بخلاف الشيخ أمين الخولي، ويظهر ذلك من كلام كل منهما.

يقول الشيخ محمد عبده في تحديد الهدف الذي يقصده من وراء تفسيره الأدبي: "والتفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه، وما وراء هذا من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله"(١).

---

(١) تفسير فاتحة الكتاب للشيخ محمد عبده ص٥، وتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ، طبعة دار المنار ، الطبعة الثانية ١٣٦٦=١٩٤٧ ، ص١٧.

بينما يقول الشيخ أمين الخولي في تحديد هدفه: "المقصد الأول للتفسير اليوم أدبي، محض، صرف، غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك، وعليه يتوقف كل غرض آخر يقصد إليه، هذه هي نظرتنا إلى التفسير اليوم، وهذا غرضنا منه، وعلى هذا الأساس نتقدم لبيان طريقة تناوله ومنهج درسه"(١).

أقول: ولله در الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي في كتابه اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري حيث وازن بين هذين المنهجين، وهاتين النظرتين، ولفت الأنظار إلى هذا الفرق الجوهري بينهما فقال: "وشتان بين منهج يتناول القرآن كقطعة أدبية، كقصيدة شاعر، أو خطبة خطيب، أو نثر كاتب، وبين منهج يتناوله طالبا الهداية والرشد أولا، وما سواها تابع"(٢).

وحتى لا نكون قد حمَّلنا كلام الشيخ الخولي ما لا يحتمله، يجدر أن ننقل كلام أنجب تلاميذه وهي الدكتورة عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" لتفسر لنا كلام أستاذها ، فتقول : "لكل لغة روائع من آدابها تعتبرها النماذج العالية لذوقها الأصيل، والمثل الرفيعة لفنها القولي،

---

(١) التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم للشيخ أمين الخولي طبع ضمن كتاب دراسات إسلامية لأمين الخولي أيضا ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٦، كما طبع ضمن كتاب مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب لأمين الخولي ، طبعة مكتبة الأسرة ٢٠٠٣، ص٣٥.

(٢) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري لفهد بن عبد الرحمن الرومي ، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،إشراف الدكتور مصطفى مسلم محمد١٤٠٥، ٣/٩٨٠.

وقد غبرت الأجيال منا تتجه إلى نصوص مختارة من شعر العربية ونثرها، تضعها بين أيدي القراء، أو تقدمها إلى التلاميذ والطلاب، وشغلنا نحن أصحاب الدرس الأدبي، أو شغلت الجمهرة منا بالمعلقات، والنقائض، والمفضليات، ومشهور الخمريات، والحماسيات، والمراثي، والمدائح، والغزليات، ومأثور الرسائل، والآمالي، والمقامات، شغلنا بهذا ومثله عن الاتجاه إلى القرآن الكريم، الذي لا جدال في أنه كتاب العربية الأكبر، ومعجزتها البيانية الخالدة، ومثلها العالي الذي يجب أن يتصل به كل ذي عروبة، أراد أن يكسب ذوقها، ويدرك حسها، ومزاجها، ويستشف أسرارها في التعبير والأداء، مسلما كان أو غير مسلم، ونحن في الجامعة نترك هذا الكنز الغالي، وقل فينا من يحاول أن ينقله إلى مجال الدراسة الأدبية الخالصة، التي قصرناها على دواوين الشعر، ونثر مشهوري الكتاب، وكان المنهج المتبع في درس التفسير – إلى نحو ربع قرن من الزمان – تقليدا أثريا لا يتجاوز فهم النص على نحو ما كان يفعل المفسرون من قديم، حتى جاء شيخنا الإمام الأستاذ أمين الخولي فخرج به عن ذلك النمط التقليدي، وتناوله نصا أدبيا على منهج أصله، وتلقاه عنه تلامذته ومنهم أنا اهـ[1].

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم د/ عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ أستاذ الدراسات القرآنية العليا بجامعة القرويين بالمغرب ، طبعة دار المعارف ، الطبعة السابعة ، بدون ، ١٣/١.

من كل ما سبق من نُقول يتضح جليا مقصد الشيخ أمين الخولي من دعوته هذه، ويتضح الفرق أيضا بين دعوته ودعوة الشيخ محمد عبده.

ثالثا: وضع الشيخ الخولي منهجا لكيفية دراسة القرآن الكريم دراسة أدبية خالصة، وهذا المنهج يتلخص في أنه يريد أن يفسر القرآن الكريم موضوعيا، لا كما فعل المفسرون قبل لأنهم فسروا القرآن الكريم على الترتيب المصحفي، وهذا الترتيب المصحفي – في نظره – ترك وحدة الموضوع لم يلتزمها تماما، فهو يرنو إلى تفسير القرآن على الموضوعات، لا على ترتيب القرآن الكريم، ثم هو يريد أن يرتب القرآن الكريم زمانيا بمعنى أنه يريد أن يجمع الآيات في الموضوع الواحد، ثم يرتبها زمانيا على حسب ترتيب نزولها، وكأن الخطوة الثانية وهي ترتيب الآيات زمانيا خطوة تالية للخطوة الأولى، وهي جمع الآيات في الموضوع الواحد.

ولا يسعني أن أترك هذه النقطة دون أن أناقش الشيخ الخولي فيها حيث أقول: إن دعوته بأن القرآن الكريم ترك وحدة الموضوع، لم يلتزمها مطلقا، وترك الترتيب الزماني لم يلتزمه أبدا، فهذه دعوى باطلة بامتياز حيث تمثل طعنا في ترتيب القرآن الكريم على هذا النحو، والذي أجمع العلماء المعتبرون في هذا الشأن على أن ترتيب المصحف توقيفي، من عند الله تعالى بوحيه إلى النبي محمد ﷺ، والذي كان يأمر أصحابه ﷺ من كتاب الوحي أن يضعوا آية كذا في سورة كذا، وآية كذا في سورة كذا، رغم أنه ربما نزلت السورة الكريمة، ولم يبق منها إلا آية أو آيتان، تأخرت أو تأخرتا زمنا

طويلا، إلا أن هذه الآية أو هاتين الآيتين عند نزولهما يلحقا بـــنفس السورة، التي أراد الله عز وجل أن يلحقا بها، كما أن المطالع لعلـــم المناسبة في القرآن الكريم بين الآيات والسور، يدرك تماما أن ترتيب سور القرآن الكريم ليس في مقدور أحد من البشر أن يحققها كما هي عليه الآن، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا ســـطرها المفســـرون فـــي تفاسيرهم ، وعلى رأسهم العلامة البقاعي في كتابه " نظم الدرر فـــي تناسب الآيات والسور"، والعلامة السيوطي في كتابه "أسرار ترتيـــب سور القرآن الكريم" وغيرهما.

فدعوى أن القرآن الكريم على ترتيبه الحالي فـــي المصـــحف، والذي تتعبد الأمة كلها به من الصدر الأول إلى يومنا هذا، وإلـــى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لم يكن على الوجه السديد، وانتظـــرت الأمة آخر الزمان حتى يأتي الشيخ أمين الخولي، فيرتبه لها ترتيبـــا سديدا لتفهمه معه فهما مستقيما، دعوى باطلة لم يشم منها إلا أدنى رائحة للصحة، بل لا تستحق المناقشة، ولكننا تنزلنا فـــي مناقشـــتها لأننا التزمنا بذلك ، ولا أملك إلا أن أقول كما قال الشاعر:

أنا لا ألوم المستبد إذا تعنت او تعـدى ∴ فسبيله أن يستبد وشأننا أن نستعدا

وأما دعوى أن المفسرين عندما تناولوا القرآن الكريم، وتفسيره على هذا الترتيب، لم تمكنهم هذه الطريقة من الترتيـــب مـــن الفهـــم الدقيق والإدراك الصحيح لمعانيه وأغراضه، فـــدعوى أيضـــا مثـــل سابقتها من البطلان، وفيها من التجني على سادة الأمة وعلمائها ما فيها، فضلا عما فيها من سوء الأدب مع القرآن الكريم، وفي القـــول بأن ترتيبه الحالي لا يساعد على الفهم المستقيم، وحتـــى لا أكـــون

متجنيا على الشيخ الخولي في تخطئته في هذه الدعوى، أستدعي كلام العلامة فهد الرومي في ذلك حيث يقول: ولا أظن الأستاذ أمين الخولي إلا مخطئا في نظرته تلك إلى تفسير السلف، ذلك أنهم حين يتناولون بالتفسير حكما تشريعيا لا ينظرون إلى آياته التي حملته نظرة منفصلة عن الآيات الأخرى، بل ولا عن ما هو خارج عن الآيات، أعني السنة وغيرها، فلا تعد نظرتهم تلك نظرة قاصرة، وخذ القصة مثلا حين يتناولها السلفي – ومقصود السلفي هنا المفسر من السلف– يستكمل مناظرها، ومشاهدها، من نصوص آيات أخرى في مواضع متفرقة، وكذا آيات العقائد لا ينظر إلى آحادها نظرة مستقلة عن سواها، كل هذا يدل على كمال النظرة السلفية في تفسير الآية القرآنية، وأن لا أثر لسلوكهم التفسير المرتب على الفهم الدقيق، أو الإدراك الصحيح كما فهم الأستاذ أمين اهـ[1].

ثم إني أدعو الشيخ أمين الخولي، ومن لف لفة لينظر إلى الأعداد المتراكمة من التفاسير السديدة للقرآن الكريم، والتي التزم أصحابها المناهج المستقيمة، بل لا أدعوه إلى النظر فيها كلها، وإنما أدعوه إلى أن ينظر في التفاسير التي تناولت المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ليرى كيف جهد المفسرون، لكي يقفوا عند كل لفظة قرآنية بل عند كل حرف ليعرفوا كم تكرر وكم ذكر ، فالذي ينظر على سبيل المثال إلى تفسير "فتح الرحمن في بيان ما تلبس من القرآن" لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، أو إلى تفسير "درة التنزيل وغرة التأويل في المتشابه" لأبي عبد الله الرازي، أو إلى تفسير "كشف

---

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري ٣/ ٩٨٦.

المعاني عن متشابه المثاني" لبدر الدين بن جماعة المصري، يرى مدى ما كان يحتاط به المفسرون في تفاسيرهم، فلا يتركون لفظة أو حرفا ورد في آية تناظر الآية التي هم بصدد تفسيرها، إلا وتناولوه بالدراسة، وذكروا فيها من العلل والأسباب التي جعلت هذا الافتراق يحصل في لفظها، وشرحوا معناها على هذا الافتراق، إلى غير ذلك مما لا مجال للتفصيل فيه الآن وإنما الشاهد أن من رأى ذلك، لا يملك إلا أن يسلم بأن المفسرين جميعا ما غُّم عليهم من معاني القرآن الكريم شيء، وإنما كانوا ينظرون إلى كتاب الله تعالى عند تفسيره، كأنه صحيفة واحدة، أما ما يريده الشيخ أمين الخولي في منهجه هذا تجاه التفسير الموضوعي، من أنه سيجمع الآيات في الموضوع الواحد في القرآن الكريم، ثم يرتبها ترتيبا زمانيا قبل أن يقوم بتفسيرها، فهذه دعوة كما يقول الشيخ الرومي بعيدة عن التطبيق، وأنا أقول: إنها دعوة مستحيلة التطبيق، إلا إذا رجع الشيخ أمين الخولي بالزمن إلى الوراء حتى وصل إلى عصر نزول القرآن الكريم، وأخذ يتتبع نزوله آية آية، حتى يرتبه كما يريد، ولا أظن أن مثل الشيخ أمين هذا يمكن أن يعيش في عصر الصحابة، ولو أراده الله تعالى ترتيبا غير هذا الترتيب للقرآن الكريم لأطلع عليه نبيه ﷺ، ومعلوم أن الله تعالى قد أراد لكتابه القرآن أن يهيمن على سائر الكتب، وتكفل سبحانه وتعالى بحفظه في قوله﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1]، ولو كان في ذلك الذي يريده الشيخ الخولي مزية

---

(١) سورة الحجر الآية ٩.

للكتاب الكريم، لما تخلف هذا أبدا، ثم إن القرآن الكريم في ترتيبه التوقيفي هذا ليس فيه ما يظهر تناقضا زمانيا ألبتة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (١)، ولله در الشيخ فهد الرومي حين يقول: ثم إن الشيخ أمين نفسه، وتلاميذه من بعده، لم يضع أحدا منهم خطة لهذا الترتيب ولم يحل أحد منهم إلى ترتيب بعينه يراه الأفضل، بالرغم من أنهم يعتبرون هذه الخطوة لابد منها قبل التفسير(٢).

رابعا: تكملة لمنهج الشيخ أمين الخولي في التفسير الذي يريده، فإنه يريد أن تكون ثمت خطوة بعد الخطوتين السابقتين، وهي عمل دراستين حول القرآن الكريم عامة وخاصة، عامة بدراسة البيئة التي نزل فيها القرآن الكريم بشقيها دراسة مادية، كالظواهر الجوية، والأرض، والجبال، والأودية، وغير ذلك، ودراسة معنوية بدراسة تاريخ الأمة في ماضيها، ونظمها، وأعرافها، وعاداتها، وتقاليدها، ودراسة خاصة وهي علوم القرآن الكريم؛ أقول: وهذه الخطوة نوافقه عليها تماما، ويوافقه عليها كل من تصدر للتفسير، فما من مفسر من المفسرين المعتبرين، إلا وظهرت آثار دراسته حول القرآن الكريم في تفسيره، حيث كان جل المفسرين يقدمون بين يدي تفاسيرهم، بمقدمات تشتمل على أنواع علوم القرآن الكريم، وأمثلتها، مثل مقدمة ابن عطية الأندلسي حول تفسيره، ومقدمة الإمام القرطبي،

---

(١) سورة النساء الآية ٨٢.
(٢) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري ٣/ ٩٨٩.

ومقدمة الإمام ابن جرير الطبري، وغيرهم كثير وهذا ما عناه الخولي بالدراسة الخاصة.

أما الدراسة العامة فتظهر أيضا عند جل المفسرين، من خلال تفسير الآيات التي تتحدث عن بيئة العرب، أو عن أسماء أماكن فيها، كالأحقاف، والحجر، والأيكة، ومدين، ومنازل عاد، وثمود، أو الآيات التي تتحدث عن عادات العرب، من مثل وأد البنات، والشجاعة، والكرم، وغير ذلك، مما يظهر أن المفسرين لم يهملوا أبدا هذه الدراسة، وليس معنى هذا أنهم يشاركون الشيخ أمين في غايته من الدراسة، وإنما هو توافق بينهما في خطوة من خطوات المنهج، ولا يعني ذلك توافق المنهجين، بقدر ما يعني أن هذه الخطوة صحيحة عند الشيخ أمين الخولي.

خامسا: تأتي الخطوة التي تلي السابقة في هذه الدراسة الأدبية المرجوة وهي دراسة القرآن نفسه، أي دراسة النص القرآني من جهة الإفراد بدراسة الألفاظ القرآنية، ودراسة تدرج هذه الألفاظ مركبة، مستعينا في ذلك بالعلوم الأدبية من نحو، وبلاغة، ولكن لا على الطريقة التقليدية، وإنما على أنها النظرة الأدبية التي تتمثل الجمال القولي في الأسلوب القرآني، وتستبين معارف هذا الجمال، وتستجلي قسماته في ذوق بارع، قد استشف خصائص التراكيب العربية، منضما إلى ذلك التأملات العميقة في التراكيب، والأساليب القرآنية، لمعرفة مزاياها الخاصة بها من آثار عربية، بل لمعرفة فنون القول القرآني، وموضوعاته، فنا فنا، وموضوعا موضوعا،

معرفة تبين خصائص القرآن في كل فن، ومزاياه التي تجلو جماله[١].

أقول وهذه دعوة بعيدة تماما عن التطبيق، بل هي دعوة لا تتعدى التنظير فقط، وقد حكم عليها صاحبها بنفسه الشيخ أمين حين قال بعدها: "ولئن كان هذا مما يطلب أو يوصف في قليل من الجمل، أو الأسطر، فإن تحقيقه ليس بهذه السهولة والقرب، وإنما يقوم على إصلاح أدبي بلاغي، أحسب أن الحياة الأدبية اليوم تحاوله، وهي بالغة منه إن شاء الله مبلغا حسنا، ومستفيدة به في التفسير الأدبي للقرآن، كما تستفيد هذه المحاولة الإصلاحية نفسها بمزاولتها للتفسير القرآني.

وأنا أقول: إن هذه الدعوة الإصلاحية التي تتناول البلاغة لم تتم – ولله الحمد – ولذلك فإن ما يترتب عليها لم يتم، فهو لا يعدو أن يكون تنظيرا جديدا من الشيخ أمين الخولي.

سادسا: يركز الشيخ أمين الخولي في دعوته إلى التفسير الأدبي، واستخلاص درر القرآن الكريم من خلاله على إعمال النظريات، في علم النفس على المتلقي للقرآن الكريم، وعلى النص ذاته حتى ينتج معاني جديدة، ويحل مشكلات عويصة لا تحل لو لم يعمل هذا التفسير النفسي، ولا أدري لماذا يقبل الشيخ أمين الخولي التفسير بالنظريات في علم النفس، وهي في مجملها حديثة تتبع التفسير العلمي، ثم هو ينكر التفسير العلمي مطلقا، ثم كيف يقبل تفسير القرآن الكريم

---

(١) التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم ص٤٤.

بألفاظه التي كانت وقت تلاوتها الأولى في عصر النبوة، مع رفض جميع ما يطرأ بعد على هذه الألفاظ، وتلك المعاني، ثم يقبل أيضا التفسير النفسي لهذه الألفاظ وما يضفيه عليها من معاني، إلا إذا كان هذا اضطراب في المنهج عند الشيخ الخولي.

وبعد فهذه جملة مناقشتي للشيخ أمين الخولي في موقفه من التفسير وسيتضح في العنوان الآتي ما نستجلي به قيمة دعوة الشيخ أمين الخولي هذه.

المبحث الخامس

مناقشة الشيخ أمين الخولي في إنتاجه العلمي الذي أنتجه من خلال مشروعه التجديدي ومعرفة ما إذا كان هذا الإنتاج موافقا لمبادئ المشروع ومقدماته أولا؟

هيا بنا نناقش الشيخ أمين الخولي -رحمه الله تعالى- في الإنتاج العلمي الذي خلفه بعد هذه الدعوة العريضة، التي عاش يدعو بها دهرا، ودفع في سبيلها أغلى ما يملك، وهي حياته وأنفاسه فنقول: إن الشيخ أمين الخولي خلف إنتاجا علميا في التفسير، سطره تلاميذه بعد أن قاله هو كأحاديث في الإذاعة المصرية، ثم عرضوه عليه فنظر فيه نظرة قبل أن يطبع، وهذا الإنتاج جاء على هيئة سلسلة قرآنية لتفسير موضوعات من القرآن الكريم، وهي سلسلة "من هدي القرآن الكريم في القادة والرسل" - "من هدي القرآن في أموالهم"- "من هدي القرآن في رمضان".

والذي يجيل النظر في المؤلفين الأولين يجد أن الخولي قد التزم في كل مؤلف منهما موضوعا معينا، كما أن هذا الموضوع يهدف إلى إعمال القرآن الكريم في الحياة، والاستفادة منه في المجال الاجتماعي، حيث تحدث عن القيادة في الإسلام، والصفات التي ينبغي أن يتحلى بها القادة، وتوابع ذلك في كتابه من هدي القرآن في القادة والرسل، وتحدث عن هدي القرآن الكريم في المال، والتكافل بين طبقات المجتمع في المؤلف الثاني من هدي القرآن في أموالهم، كما يلاحظ الناظر أيضا أن الخولي لم يخرج بالنص القرآني بعيدا عما ذكره المفسرون، وإنما فسره على ما هو المستفاد منه، وعلى ما

تقضيه الألفاظ العربية التي نزل القرآن الكريم بها، وإن كان قد قصر في تتبع الألفاظ كثيرا، وهذا ما يمكن أن يقال على العموم من النظرة الأولى لمؤلفات الشيخ أمين الخولي في التفسير، لكن العلماء يرون أن الشيخ أمين الخولي مع تفسيره – إن صح أن يطلق على ما كتبه تفسير – قد مر بأربع مراحل رئيسية:

المرحلة الأولى: في كتابه عن الجندية والسلم واقع ومثال، وبعد استعراض ما ذكره الخولي في هذا الكتاب ظهر أنه لا يكاد الناظر فيه يستبين بينه وبين المنهج الذي دعا إليه الشيخ الخولي من صلة.

المرحلة الثانية: وهي كتاب من هدي القرآن في القادة والرسل، ومن استعراض هذا الكتاب نرى أن هذه المرحلة كانت أقرب إلى سابقتها من منهج الشيخ أمين الخولي، كما أن فيها إبراز للجانب النفسي في التفسير، وإن لم يكن هذا له الحظ الأوفر في كلامه.

المرحلة الثالثة: وهي في كتاب من هدي القرآن الكريم في رمضان، ويتضح من استعراض هذا الكتاب أن الشيخ أمين الخولي قد اقترب أكثر من ذي قبل من أسس المنهج الذي سطره، وأن الفاصل لا يزال بعيدا.

المرحلة الرابعة: وجاءت بكتاب من هدي القرآن في أموالهم، وفي هذه المرحلة لم يلتزم الخولي أي عنصر من عناصر منهجه، الذي سبق أن سطره، ونادى به، حيث أورد الآيات القرآنية الكثيرة في موضوع حديث القرآن الكريم عن المال، لكنه لم يرتبها حسب النزول كما كان ينادي، وهذه مخالفة صريحة لمنهجه،ثم قام بدراستها دراسة عامة غير شافية ولا وافية بما أوجبه للدراسة

الأدبية، ثم نظر في هذه الآيات وغيرها نظرة شاملة، وقل نظره في مفرداته،ا وهو تجاوز آخر لعناصر منهجه ثم نظر في معانيها المركبة، لا ينظر إليها آية آية بل نظر إليها جميعا مفردا كل نظرة بحديث(١).

نقل هذا كله الشيخ عبد الرحمن بن فهد الرومي في رسالته للدكتور "اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشرالهجري" ثم لخص العيوب التي تؤخذ على الشيخ أمين الخولي ومدرسته الأدبية بعد استعراض ما كتبت تلميذته عائشة عبد الرحمن، وبعد استعراض ما كتب تلميذه محمد أحمد خلف الله، فذكر الأشياء الآتية:

١- إن دعوة الشيخ أمين الخولي لم تقدم خطة مثالية لسلوك التفسير الموضوعي، ولا قدمت عريضة لحصر هذه الموضوعات في القرآن الكريم، ولو من ناحية أبوابها العامة الواسعة، وإنما اقتصرت الدعوة على بيان محاسن التفسير الموضوعي، دون أن تخطو إلى رسم خطوات السير فيه.

٢- جنح أصحاب التفسير الأدبي إلى الحديث عن التفسير الموضوعي، حتى يجنبهم ذلك الانحراف بالتفسير بعيدا، ثم وقعوا فيما أرادوا أن يبتعدوا عنه، يقول الدكتور محمد إبراهيم شريف: إن التفسير القرآني حديثا لم يشهد ما خرج به عن حده وطبيعته، إلا من أشهر محاولات الاتجاه الأدبي تمسكا والتزاما وعصمة بالموضوعية، ولم يشهد تاريخ

---

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع الهجري ٣/ ١٠٠٦.

التفسير على طوله ما يزلزل يقين الاطمئنان إلى معطيات النص القرآني، مثلما شهد من هذه المحاولة[١].

٣- إن دعاة التفسير الأدبي وعلى رأسهم الشيخ أمين الخولي لم يحل أحد منهم الأمة إلى ترتيب زمني معين للقرآن الكريم، لا في القديم، ولا في الحديث، ولم يقدم أحد منهم المحاولة لهذا الترتيب، ولا عليهم فإن مثل هذا الأمر من الاستحالة بمكان، فإنه إن توافرت له الجهود مهما توافرت، فهي تفتقد إلى السند والأدلة التي تأخذ بيدها على الصواب.

٤- إن دعاة التفسير الأدبي يريدون أن يرجع باللفظة القرآنية إلى معناها وقت نزول القرآن، وفي هذا تعطيل لهذه اللفظة عن معاني أخرى قد تؤديها بعد ذلك، لتظهر مطابقة الكلام وهو القرآن الكريم لمقتضى الحال في كل عصر من العصور، معلنة إعجازا مستمرا متجددا لا ينقطع، وداعية إلى زيادة التأمل والتدبر في آيات الله تعالى، ويشهد لذلك تتابع العلماء في تفسير القرآن الكريم من لدن نزوله حتى الآن، حيث لم يقفوا في ألفاظ اللغة على معنى واحد لم يتجدد، ولو فعلوا ذلك لانقطع مسار التفسير، ولما تسلسل إلى عصرنا هذا، ولما أوردوا في الكلمة الواحدة معاني متعددة، وهذا يظهر أن معاني القرآن الكريم متجددة، يضفي كل مفسر منهم ما يراه

---

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر د/ محمد إبراهيم شريف ، طبعة دار التراث القاهرة ، الطبعة الأولى١٤٠٢=١٩٨٢ ، ص٥١٧.

مناسبا، ويروض ثقافته وتصوره للمعنى في حرية، حتى يستخرج ما قد يستنبطه من معاني جديدة.

من كل ما سبق يتضح مدى الفجوة الواسعة بين النظرية التي هي في بسطها جميلة مقبولة، وبين التطبيق الذي يحتاج إلى آليات لا توجد وليس في مقدور أحد من البشر إيجادها.

لذلك يقول الدكتور محمد عفت الشرقاوي: لكن الذي لا نفهمه أن آثار الشيخ أمين الخولي نفسه في التفسير، لا تحتكم إلى هذا المنهج طويلا في استخراج الدلالة، وهكذا ظل الفارق بعيدا بين الواقع والمثال في آثارهم جميعا(١).

ويقول الدكتور محمد إبراهيم شريف في شهادته على منهج الخولي: تجدر الإشارة إلى أن المنهج بهذه الصورة من القيود والمتطلبات، لم ير النور في محاولة ما من محاولات أتباعه، وإنما وقعت محاولاتهم موقعا بعيدا عن الأمل والطموح بصورة أو بأخرى.

ويقول: تخلف النتائج عن المقدمات العريضة في دعوة المنهج الأدبي الموضوعي، وقصور محاولاته ووقوعها في منزلة أدنى من طموح أصحابها، فلم تشهد الدعوة تطبيقا كاملا في إحدى محاولات التفسير.

ويقول: وفي تصورنا الآن أن أمين الخولي إذا كان قد بدأ نظريته التفسيرية، ليجدد منهج التفسير القرآني فلقد انتهى الأمر

---

(١) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث د/ عفت الشرقاوي، بدون ، ص٣١٠.

بالتفسير في نهاية نظريته إلى أن أصبح علما، لم يبدأ بعد، ولكن من الممكن له أن يبدأ بل أن ينمو وينضج، إذا ما سار على ذلك الدرب الشاق بكل صعوباته ومسئولياته[١].

من كل ما سبق يتضح لنا أن الشيخ أمين الخولي -رحمه الله- وإن كان قد حبك منهجا ذا أسس وضوابط، لعمل تفسير جديد للقرآن الكريم، فإنه عندما قدم لنا هذا التفسير، أو بعضه، ثبت بما لا يدع مجالا للشك أنه رجع إلى الصورة التقليدية للتفسير، والتي سار عليها الأقدمون، ولم يخالف منها إلا بقدر ما أراد أن يعمل فيها منهجه الذي سطره، وليس هذا بغريب فالتفسير له أصول، وضوابط، وقواعد، قد وضعها العلماء قديما بعد طول نظر، وعميق فكر، لن يصل أحد إلى علم التفسير إلا بها، وبقدر أخذه من هذه الضوابط والقواعد يكون قدره من الصواب، ألا فليعتبر المتجرءون على جناب القرآن الكريم بدون أدوات، وقديما قالوا: نسجت دودة القز يوما حريرها، فغارت العنكبوت ونسجت نسجها، وقالت: لي نسج ولك نسج، فإن تكوني دودة مكرمة فأنا دودة مكرمة، فقالت دودة القز التي تنتج الحرير: لكن نسجي أردية للملوك، أما نسجك فهو شبك للذباب.

إذا اشتكيت دموع في عيون ∴ تبين من بكى ممن تباكى

والله تعالى أعلم .

---

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر د/ محمد إبراهيم شريف ص٥٠٨، ٥٩٧، ٥١٠.

المبحث السادس

إطلالة على الشيخ أمين الخولي من خلال حياته مع تلاميذه، وحملة منهجه وأفكاره، ونصرته لهم، وموقف المجتمع العلمي منه، ومن تلاميذه

سبق أن ذكرت أثناء البحث أن الشيخ أمين الخولي عندما قال له تلميذه عبد الحميد يونس: أريد أن تكتب لنا خلاصة مناهجك في كتاب كان رد الشيخ الخولي أن قال: أنا مثل سقراط أعيش في تلاميذي أفضل مما أعيش في كتاب.

أقول: وإذا كان "العرف" دليلا من أدلة أصول الفقه التي تستنبط بها الأحكام فهو قاض في حديثنا هذا الآن؛ حيث أقول: إن عرف الجامعات المصرية الآن يحكم بأن من أشرف على رسالة للماحستير أو الدكتوراه، أو ناقش هذه الرسالة ثم أجازها، ووقَّع على إجازته لها، ثم نشرت على أنها رسالة علمية مناقشة – ولم تنشر على أنها تحمل آراء صاحبها فقط- إذا حصل هذا ، فإن العرف يقضي بأن هذه الرسالة تحمل آراء الباحث والمشرف والمناقش.

وهذا هو الحال مع الشيخ أمين الخولي، عندما حقق الله له سؤله، فرزقه المعيشة في تلاميذه، فرأينا أربعة أمثلة لتلاميذ الشيخ أمين الخولي، سطر التاريخ مواقفه معهم من نصرته لهم نصرة أكيدة، رغم ما قالوه، وسطروه من تطاول على جناب القرآن الكريم – على تفاوت فيما بينهم- وإن كان جلهم كذلك، وفي السطور الآتية نقف مع هؤلاء التلاميذ، لنرى كيف كانت دعوة الشيخ أمين الخولي،

ليست مجرد دعوة ألقيت على حين غفلة من الزمن، وإنما هي دعوة لها أسسها، وقواعدها، وهي دعوة مقصودة من صاحبها فنقول:

ظهرت بواكير نتائج الشيخ أمين الخولي في كلية الآداب، عندما أشرف على تلميذه النجيب محمد أحمد خلف الله في رسالة الدكتوراه، المقدمة منه إلى قسم اللغة العربية الكلية بعنوان "الفن القصصي في القرآن الكريم" والتي أورد فيها طامات حول القصص القرآني، لا تقبل من ملحد، فضلا عن قبولها من مسلم متخصص في الدراسات اللغوية والدينية، وأود أن أشير هنا إلى بعض أقوال خلف الله في هذه الرسالة، حتى يتضح بعد ذلك مدى قسوة الشيخ أمين الخولي على نفسه، عندما ساند هذا المسكين.

قال خلف الله: ومعنى ذلك أن القصص التاريخي في القرآن قصص أدبي أولا وآخرا، ويقول: القصة التاريخية ليست عرضا تاريخيا، نطلب فيه المطابقة الواقعية المحققة للصدق العقلي، وإنما هي عرض أدبي يطلب فيه التأثير وقوة الوقع، ليتحقق به الصدق الفني أو الأدبي(١).

كما أن خلف الله يواصل افتراءاته على القرآن فيقول: إن القرآن أنطق أشخاصا بما لم ينطقوا به، مراعاة لأمور اعتبارية(٢)، ويقول: فليس يلزم في الأحداث أن تكون قد وقعت، وليس يلزم في

---

(١) الفن القصصي في القرآن الكريم لمحمد أحمد خلف الله ، مع عرض وتحليل بقلم خليل عبد الكريم ، طبعة سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربي ، الطبعة الرابعة ١٩٩٩، ص١٦٣.

(٢) الفن القصصي في القرآن الكريم ص١٨٠.

الأشخاص أن يكونوا قد وجدوا، وليس يلزم في الحوار أن يكون قد صدر، وإنما يكتفي في كل ذلك، أو في بعض ذلك، بالفرض والخيال(١).

هذا جزء بسيط مما سطره محمد أحمد خلف الله في رسالته تحت إشراف الشيخ أمين الخولي فما موقف الشيخ أمين من هذه الرسالة.

قبل أن أذكر رأي الشيخ أمين، أومئ هنا على أن كل ما قاله خلف الله هذا باطل، ولا أساس له من الصحة، ولا يستحق ثمن المداد الذي يكتب به، ولا أن يرد عليه فلو قرأ قول الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام ما جرأ على هذه الأقوال قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

وأقول كما قال ابن الحصار:

وليس كل خلاف جاء معتبرا ∴ إلا خلاف له حظ من النظر

وأقول: قال الشافعي:

ولو أن كل كلب عوى ألقمته حجرا ∴ لأصبح الصخر مثقالا بدينار

وأعود فأنقل ما قال الشيخ الخولي عن تلميذه حيث قال: فلو لم يبق في مصر والشرق أحد، يقول إنه حق لقلت وحدي، وأنا أقذف

---

(١) الفن القصصي في القرآن الكريم ص١٨٣.

في النار، إنه حق إنه حق، لأبرأ أمام ضميري، ولا أشارك في وصم الإسلام اليوم بهذه الوصمة[١].

وآزر الخولي ساعتها وتلميذَه توفيقُ الحكيم فقال: شهادة الأستاذ الخولي خطيرة، كما يرى الرأي العام، وإني أحب أن ألفت النظر إلى نقطة الخطورة فيها؛ تلك هي قوله، إن الأستاذ محمد عبده انتهى إلى مثل هذه الآراء منذ اثنين وأربعين عاما، إذا كان هذا القول صحيحا كما يؤكد الأستاذ الخولي، فلنا أن نطلب تعليلا لما صرنا إليه، وعلى المسئولين من رجال الدين، أن يوضحوا الموقف، فإنه لا يرضيهم أن نرجع اليوم – في عهدهم- القهقري، بعد نهضة إسلامية بعثها الأستاذ الإمام، أما رجال الجامعة فقد اتهمهم الأستاذ الخولي في عقليتهم، وخلقهم تهمة لا يدفعها عنهم غير دليلهم، وهي إن صحت لكانت قديرة على هدم التعليم الجامعي من أساسه واقتلاع أهدافه من جذورها[٢].

وقد أشهد الخولي على كلامه هذا التاريخ فقال: وإني أودع هذا البيان بين يدي التاريخ، لأشعر أنني أضع صحيفة في جوف الكعبة، أو كما يقال اليوم لأشعر أني أودعها في قدس الأقداس من معبد الحق، وأحس أن روحي تهتف: أيها التاريخ كم شددت أزر الأحرار

---

(١) مقدمة الفن القصصي في القرآن الكريم لمحمد أحمد خلف الله ، تقديم أمين الخولي ، مع عرض وتحليل بقلم خليل عبد الكريم ، طبعة سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربي ، الطبعة الرابعة ١٩٩٩، ص (ح).

(٢) مقدمة الفن القصصي في القرآن لأمين الخولي ص (ط).

همساتك المدوية من وراء الأجيال تدمدم، إن ملاحدة اليوم هم قديسوا الغد، وبدعة الحاضر هي تقوى المستقبل، وإلا فلا تقدم ولا تطور.

هذا هو موقف الشيخ أمين من تلميذه الأول.

ثم ظهرت هذه الدعوة مرة أخرى عام ١٩٦٥م، على يد إحدى تلميذات الشيخ أمين، وهي الباحثة تغريد عنبر في رسالتها "أصوت المد في القرآن الكريم"، والتي تقدمت بها إلى جامعة الإسكندرية، وكان الخولي أحد أعضاء لجنة المناقشة، مع إبراهيم أنيس، ومحسن عون، وكانت الرسالة تقرر أن الرسول ﷺ كان يغير ويبدل في القصص القرآني، وأن النص القرآني لم يتعرض للتغيير والتبديل على يد الرسول وحده، بل تعرض لهذا التغيير والتبديل على يد المسلمين الأوائل من الصحابة، لأن القرآن الكريم – في زعمها – ليس منزلا بلفظه، ولكنه منزلا بمعناه وزعمت أن المسلمين لم يتفقوا على نص موحد للقرآن، وكل ما وصلوا إليه – في زعمها – هو شيء يشبه النص الموحد[١].

---

١) مقدمات العلوم والمناهج لأنور الجندي طبعة دار الأنصار بالقاهرة ٤/ ٥٣٥، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام لمحمد حسين العفاني ، نشر دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع بجدة ، بدون ، ٤٣٧/١، الحداثة في العالم العربي رسالة دكتوراه للباحث محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي إشراف الدكتور ناصر عبد الكريم العقل الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بالرياض ١٤١٤هـ ٤/ ١٣٩٧.

والغريب أن هذه الرسالة قد حصلت على تقدير جيد جدا، وتبنى الخولي الإشراف على تعديل وتهذيب الأخطاء الواردة في الرسالة هذه، ثم كانت المفاجأة أن وجدت الرسالة كما هي، مليئة بتجريح القرآن الكريم وطعنه، وما كان من عمل لجنة التهذيب والتصحيح إلا الخداع والتضليل.

كما كان من تلاميذ الشيخ أمين الخولي الدكتور شكري عياد، والذي أشرف عليه الدكتور أمين الخولي في رسالته بعنوان "يوم الحساب في القرآن الكريم" ثم اضطر شكري عياد إلى تغيير تخصصه في الكلية من الدراسات الإسلامية إلى الدراسات النقدية، خوفا من عواقب أقواله في الرسالة، وذلك بعدما ألغيت رسالة محمد أحمد خلف الله عام ١٩٤٧م، وكانت تحت إشراف الشيخ أمين الخولي، ومن تلاميذ الشيخ أمين الخولي –وإن اختلف عمن قبله منهم– حيث تتلمذ على أفكار الشيخ– الدكتور نصر حامد أبو زيد فقد صرح في بداية كتابه "مفهوم النص" بأنه تتلمذ على فكر الشيخ أمين فقال: وليست الدعوة إلى درس القرآن بوصفه نصا إلا استجابة لدعوة قديمة شاءت لها الظروف أن تمر، دون أن تتحقق إنها دعوة الشيخ أمين الخولي كما سبق أن أشرنا[١].

وقال أيضا: بأنه سار في نفس الخط الذي بدأه الشيخ محمد عبده عندما تكلم عن التمثيل في القرآن الكريم، ثم جاء بعده طه حسين ودفع المنهج إلى الأمام بكتابه "في الشعر الجاهلي"، وواصل

---

١) مفهوم النص للدكتور نصر حامد أبو زيد ص٢٢.

بعده أمين الخولي عندما اعتبر أن أدبية القرآن هي السمة الأساسية، التي تسبق أي سمة أخرى، وأن التحليل الأدبي وفن القول يسبقان أي تحليل فلسفي أو فقهي، هذا المنهج طبقته الدكتورة عائشة عبد الرحمن في "التفسير البياني"، ومحمد أحمد خلف الله في "الفن القصصي في القرآن" وشكري عياد في رسالة الماجستير، وأنا أعتبر نفسي تواصلا مع هذا الخط، في سياق تطور النظرية الأدبية وعلم النصوص، عندما كتبت "مفهوم النص" كان الشيخ أمين الخولي مرجعية بالنسبة إلي في ما يسمى أدبية القرآن.

كل هذا يدل على أن الشيخ أمين الخولي قد أثر تأثيرا بالغا بنظرته إلى القرآن الكريم الجديدة في العديد من تلاميذه، وطبقوا منهجه تطبيقا ربما كان صارخا عما فعله هو في رسائله "من هدي القرآن"، إلا أنهم اعتبروا أنهم وراء منهج الشيخ أمين الخولي، ولا غضاضة عليه في ذلك إنما الغضاضة في مساندته لبعضهم، مما يدل على أنه ارتأى رأيهم، وزاد عن حياضهم، فهم هو وهو هم. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإن كنت قد ذكرت بعض تلاميذ الشيخ الخولي، ممن انحرفوا ظاهرا بينا واضحا وضوح الشمس في رائعة النهار عن منهج القرآن الكريم، وذكرت أنه وقف مع آرائهم، وساندهم لا أنسى أن أذكر تلميذة من تلامذته اشتهرت، وذاع صيتها، وهي الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) والتي تزوج منها الشيخ أمين، وأورثها فكره، لكن يبدو أنها كانت تنتقي من فكره، فلا تسير معه في كل ما يقول، فكتبت "التفسير البياني في القرآن الكريم" وهي أعدل تلامذة الشيخ

الخولي، وقد ذكرت أن تفسيرها هذا تطبيقا لدعوة أستاذها وزوجها أمين الخولي إلا أنها في النهاية، وبعد وقوف جهابذة العلماء مع هذا التفسير، وتحليله في أسلوبه ومنهجه وجد أنها لم تطبق منهج أستاذها كاملا، ولكن تركت منه كثيرا غير أنها لم تبتعد بالقرآن الكريم وتفسيره بعيدا كما فعل زملاؤها في التلمذة على زوجها، فقد قال عنها الدكتور محمد إبراهيم شريف في نهاية استقراء تفسيرها قال: وإذا ما أردنا أن نقيم هذا التفسير في هذا المنهج، فإن هذا يذكرنا بملاحظة سبق ذكرها، ألا وهي تخلف النتائج عن المقدمات، أعني قصور المحاولات التطبيقية عن الأسس الموضوعية، والقواعد المرسومة لهذا المنهج، ذلكم أن هذا المنهج حتى ساعتنا هذه فيما قرأت، لم يشهد تطبيقا كاملا في إحدى محاولات التفسير، ذلكم أن بعضها يأخذ بشق، ويأخذ بعضها بالآخر، وهذا ما وقع فعلا من بنت الشاطئ، فلم ترتبط بفكرة الموضوع الذي طالت دعوة أستاذها إليها وتحمست هي كثيرا في الترويج لها[١].

أقول بعد أن أشرنا إلى موقف الشيخ أمين الخولي من تلاميذه، نذكر في عجالة موقف المجتمع من هذا الرجل وآراء العلماء فيه.

يقول الأستاذ محمد مصطفى رمضان: كان الشيخ وراء كثير من الحملات على القرآن الكريم، ومنها "الفن القصصي في القرآن" فقد أعلن الشيخ أنه متضامن معه فيها، وشريكه في التبعية، وذلك جريا

---

١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر د/ محمد إبراهيم شريف ص٥٩٧.

على خطته في الحملة على علوم البلاغة، ومسخه لبلاغة القــرآن، وكفره بتنزيه الله، ودعوته إلى العامية السوقية المبتذلة[١].

يقول الأستاذ أحمد الشايب: أشير في إيجاز إلى هــذه المعركــة العلمية التي دارت في كلية الآداب عام ١٩٤٧م حول مشروع رسالة "الفن القصصي في القرآن الكريم" ،تقدم بها طالب يدعى محمد أحمد خلف الله بإشراف الأستاذ الشيخ أمين الخولي، وتأييده الــدفاع لــه، وقد شغلت هذه المسألة الجهات الجامعية، والأزهرية، والبرلمانيــة، والصحافة، ومجلس الدولة، وقد رفض أحمد الشايب هذا المشروع إذ كان معينا لفحصه، وبرأيه أخذت كل الهيئات المذكورة، وقــد أبعــد صاحبه عن الجامعة[٢].

هذا وقد طلب السيد عبد الرازق السنهوري – وزير المعــارف حينذاك – إلى الشيخ محمود شــلتوت –رحمــه الله– فحــص هــذه الرسالة، وكتابة تقرير عنها، فإذا بهذا التقرير يدمغها بالكفر والجهل والفساد، لأنها قامت على أسس فاسدة، وأنها غارقــة فــي تكــذيب القرآن، وأن كاتبها افترى علــى العلمــاء، وأنــه جاهــل لا يفهــم النصوص، وختم تقريره بأن تطهر الجامعة من هذه الدراسة، التــي تنافي الحرية العلمية، وتنتهي إلى الفوضى، وتهدم الأصول الإسلامية في هذا البلد الإسلامي، كما أفتى أكثر من مائة عــالم أزهــري فــي

---

(١) مقدمات العلوم والمناهج لأنور الجندي ص٥٣٥.
(٢) أعلام وأقزام للعفاني ١/ ٤٢٠.

طائفة كثيرة من نصوص هذه الرسالة، بأنها مكفرة يخرج بها صاحبها عن الدين الإسلامي[١].

هذا وأختم كلامي عن موقف المجتمع العلمي من الشيخ أمين الخولي وتلاميذه، بقول الأستاذ محمد مصطفى رمضان الذي قال عن الخولي: إن الخولي طامع في مجد أدبي، كالعقاد، وطه، وهيكل، والمازني، ولكنه محروم من مواهبهم، فاتخذ هذا السبيل ليشتهر، ويضاف إلى ذلك أنه زعم – دون غيره– أنه صاحب مدرسة أدبية، وسماها "مدرسة الأمناء" والأمناء جمع أمين، وأمين اسم الشيخ أطلق الشيخ اسم المجموع على مدرسة لا وجود لها إلا في وهمه، ووهم من تسلم عليهم، وكل الحوادث تدل على أن الشيخ أمين الخولي، يحقد على القرآن الكريم لغة، وبلاغة، وأسلوبا، وعلوما، ويطبل، ويزمر للنكرات، ويوهمهم أنهم مجددون ما داموا أمناء، وكل من ليس أمينا فهو لا شيء[٢].

وبعد؛ فلعلي أكون قد وفقت في مناقشة الشيخ أمين الخولي في دعوته حول القرآن الكريم وعلومه، مناقشة موضوعية، لم أتقول فيها عليه قولا، ولم أحمل قوله منها ما لا يحتمل، ولكني التزمت الإنصاف معه، ونقلت في ذلك أقوال العلماء المعتبرين.والله تعالى أعلم بالصواب، وهو حسبي ونعم الوكيل.

---

(١) أعلام وأقزام ١/ ٤٣٢.
(٢) مقدمات العلوم والمناهج ٤/ ٥٣٧.

الخاتمة

أسأل الله تعالى حسنها

بعد هذا التطواف مع رائد المدرسة الأدبية في التفسير الشيخ أمين الخولي، والذي عشت مع تراثه الذي خلفه مدة خمس سنوات، ما بين كتابات خاصة بالقرآن الكريم وأخرى عامة، واستخلصت منهجه التي تقوم عليه عقليته، وكتبت هذا البحث من عصارة فكري في فكره – بحول الله تعالى وقوته لا بحولي وقوتي – يروق ليفي الختام التذكير والإجمال وهنا تأتي:

أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال عملي لهذا البحث.

أولا: أثبت البحث أن علم التفسير علم جليل، وجنابه عظيم، لا يحل لأحد أن يتعرض له إلا بتحصيل أدواته من العلوم المختلفة، مثل علم اللغة، وعلوم البلاغة، وعلم الحديث، وعلوم القرآن الكريم من مكي ومدني، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وأمثال وحكم، وغير ذلك من علوم.

ثانيا:أثبت البحث أن ثمت دعوات من الغرب اعتنقها بعض المسلمين، ممن ادعوا أنهم مفكرين، وقاموا بهذه الدعوات الهدامة حق قيام، حتى إن الغرب أنفسهم ما كانوا يحلمون بمثل هذا، تهدف هذه الدعوات إلى التعرض لجناب القرآن الكريم وتفسيره دون التحصيل الكامل لأدواته، مدعين أن هذا يعد تجديدا للدين ملبسين على الأمة بمثل هذه التبريرات الخاطئة وهذه الدعاوى المهزومة.

ثالثا: على رأس هؤلاء الذين حملوا هذه الأمانة عن الغرب بقصد أو بغير قصد، الشيخ أمين الخولي الذي تعرض للتفسير دون تحصيل أدواته كاملة، ولو ادعى غير ذلك، فهو على رأس مدرسة أدبية تريد أن تنزع القداسة عن القرآن الكريم، وتتعرض لتفسيره كأي نص أدبي بغض النظر عن أي اعتبار آخر.

رابعا: وضع الخولي خطة محكمة للنيل من القرآن الكريم، وذلك بإعمال التجديد في أدواته، ثم الوصول إليه فأراد أن يجدد في اللغة والنحو والبلاغة والأدب، ثم انطلق لكي يجدد في التفسير.

خامسا: أثبت البحث أن هذا التيار الحداثي، وعلى رأسه الشيخ أمين الخولي لا يحترم القرآن الكريم، ولا يراعي للتراث الإسلامي الذي خلفه الأعلام من الأمة الإسلامية قيمته حيث نعى الخولي علي المفسرين من الأقدمين، وادعى كاذبا أنه جاء بمنهج جديد للتفسير يغاير مناهجهم العقيمة.

سادسا: أثبت البحث أن أمين الخولي لم يكن ذا أدب مع القرآن الكريم، حيث ادعى زورا وبهتانا أن القرآن الكريم أغفل الوحدة الموضوعية لم يراعها مطلقا، فقد جاء ترتيبه – في زعمه – على غير الترتيب المناسب والذي ظن الخولي أنه الترتيب الزمني.

سابعا: أثبت البحث أن أمين الخولي يعد أصلا من أصول العلمانية، فهو بحق رائد المدرسة الأدبية في التفسير فهو من تزعمها ودافع عنها دفاعا مستميتا، وورث تلاميذه مبادءها، فوجدنا

الكثير منهم يصرح بذلك غير مرة من أمثال نصر حامد أبوزيد ومحمد أحمد خلف الله وشكري عياد وغيرهم .

ثامنا: يعد أمين الخولي من البارعين في التنظير فقط، فقد وضع منهجا لقراءة القرآن الكريم ادعى أنه سيعطي عطاءات جديدة لم يسبق إليها، ثم هو عجز كل العجز بعد ذلك لما تعرض للتفسير أن يطبق منهجه الذي سطره بيده، فلم يزد فيما تعرض له من تفسير لآيات عما كتبه أعلام التفسير قبله.

تاسعا: أثبت البحث أن المواقف التي اتخذها أمين الخولي مع تلاميذه ومناصرته لهم، مثل محمد أحمد خلف الله وتغريد عنبر وغيرهما ما هي إلا برهان ساطع على أن الكلام الذي سطره الخولي في كتبه وظن البعض أنه ملتبس قد قصده رنا إلى معناه.

عاشرا: دعوة الشيخ أمين الخولي إلى التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ثم إلى القرآن الكريم دعوة هدامة، لو طبقت أو بعضها لكانت كفيلة بالقضاء على تراث الأمة الإسلامية.

أهم التوصيات التي تمخض عنها البحث

أولا: ينبغي على علماء الأمة الإسلامية وروادها ومفكريها، أن يتنبهوا لما يحاك حولهم من خطط محكمة للقضاء على التراث الإسلامي، ومن ثم النفاذ منه بعد ذلك إلى القضاء على الإسلام من هؤلاء الحداثيين الذين يدعون العلم وهو منهم براء.

ثانيا: يجب أن تقام ندوات ومؤتمرات علمية معتبرة حول القراءات الحداثية للقرآن الكريم، ليتضح وجه الحق فيها، وليتبن منها الغث و السمين، وهذه أمانة في رقبة علماء التفسير خاصة، ورقبة علماء الأمة عامة.

ثالثا: ينبغي على القائمين على الأزهر الشريف- حفظه الله – أن يخصصوا بعض المقررات الدراسية على طلاب المرحلة الجامعية والدراسات العليا لهذه القراءات الحديثة للقرآن الكريم، يتبين فيها ما لهذه القراءات وما عليها، حتى يتسنى الحذر منها، وحتى تتحقق المناعة الحضارية للأمة الإسلامية من هذه القراءات وما تهدف إليه.

رابعا: ينبغي أن يجمع تراث هؤلاء الشرذمة من الحداثيين، ويقرأ قراءة متأنية، ويتولى العلماء من الأزهر الشريف الرد عليه في عمومه وخصوصه، وينشر هذا الرد أو خلاصته عبر دوائر النشر المختلفة، وأرى أن هذا من أثمن ما تنفق فيه الأعمار والأموال.

ولا أملك في النهاية إلا أن أقول: هذا عملي أضعه بين يدي أساتذتي الأجلاء والقارئ الكريم فإن أكن قد وفقت فيه فمن الله عز وجل، وإن كانت الأخرى فمني والشيطان، وحسبي أنني بشر، أخطئ وأصيب، والكمال لله تعاى وحده ولكني أتمثل قول سبحانه وتعالى: "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب" وألتمس من القارئ الكريم تحقيق قول العلامة الحريري في نهاية ملحة الإعراب:

وإن تجد عيبا فسد الخللا ∴ جل من لا عيب فيه وعلا[1]

---

(١) ملحة الإعراب وسنخة الآداب للعلامة الإمام جمال الدين أبي محمد القاسم بن علي الحريري مع تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب للشيخ محمد بن محمد عمر بحرق الحضرمي ص٩٨.

ثبت بالمراجع المصادر التي استقى منها البحث مادته العلمية.

١- القرآن الكريم جل من أنزله سبحانه وتعالى .

٢- الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي ت١٣٩٦،طبعة دار العلم للملايين ،ط ١٥، ٢٠٠٢.

٣- أعلام وأقزام في ميزان الإسلام لمحمد حسين العفاني ، نشر دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع بجدة ، بدون .

٤- الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني،تحقيق د.محمد عمارة، طبعة دار الكاتب مصر ١٩٦٨.

٥- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر لمحمد محمد حسين ، طبعة دار الرسالة ، سنة ١٣٧٣=١٩٥٤.

٦- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري لفهد بن عبد الرحمن الرومي ، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، إشراف الدكتور مصطفى مسلم محمد ١٤٠٥.

٧- اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر د/ محمد إبراهيم شريف ، طبعة دار التراث القاهرة ، الطبعة الأولى١٤٠٢ه -١٩٨٢م.

٨- اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث د/ عفت الشرقاوي ، بدون .

٩- الإسلام ونظرية التطور لمحمد أحمد باشميل طبعة مكة المكرمة رقم ٢ سنة ١٣٨٨ ه – ١٩٦٨م.

١٠- التجديد في الفكر الإسلامي رسالة دكتوراة للباحث عدنان محمد أمامة، كلية الإمام الأوزاعي بيروت سنة ٢٠٠١ م ط دار ابن الجوزي .

١١- التفسير والمفسرون للعلامة الدكتور محمد حسين الذهبي ، طبعة مكتبة وهبة ، الطبعة السابعة ١٤٢١ ه- ٢٠٠٠م.

١٢- التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم للشيخ أمين الخولي طبع ضمن كتاب دراسات إسلامية لأمين الخولي أيضا ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٦م ، كما طبع ضمن كتاب مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب لأمين الخولي ، طبعة مكتبة الأسرة ٢٠٠٣م .

١٣- التفسير البياني للقرآن الكريم د/ عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ أستاذ الدراسات القرآنية العليا بجامعة القرويين بالمغرب ، طبعة دار المعارف ، الطبعة السابعة ، بدون .

١٤- تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ، طبعة دار المنار ، الطبعة الثانية ١٣٦٦ه -١٩٤٧م.

١٥- تفسير المنار لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٠ م .

١٦- تفسير الفخر الرازي المسمى بمفاتيح الغيب لمحمد بن عمر المشهور بخطيب الري المتوفى ٦٠٦هـ طبعة طهران .

١٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبي جعفر الطبري ت ٣١٠هـ ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الدكتور عبد السند حسن يمامة ، طبعة دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

١٨- الجامع الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث الإسلامي.

١٩- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه،للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ت٢٥٦ه ، تحقيق د.مصطفى ديب البغا.

٢٠- جذور العلمانية للدكتور السيد جميل فرج طبعة دار الوفاء لمنصورة ط١ ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

٢١- الحجة في القراءات السبع للحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ) د. عبد العال سالم مكرم ، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت نشر دار الشروق - بيروت طبعة٤، ١٤٠١ ° .

٢٢- الحداثة في العالم العربي رسالة دكتوراه للباحث محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي إشراف الدكتور ناصر عبد الكريم العقل الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بالرياض ١٤١٤هـ ٤/ ١٣٩٧.

٢٣- حسن الترابي وفساد تطوير الدين للعلامة عبد الفتاح إبراهيم محجوب.

٢٤- دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي، طبعة دار المعرفة ط١سنة م١٩٧١.

٢٥- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبي زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي ت ٨٠٨ هـ ، تحقيق خليل شحادة طبعة دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٢٦- السبعة في القراءات لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبي بكر بن مجاهد البغدادي ، ت ٣٢٤هـ ،تحقيق شوقي ضيف نشر دار المعارف الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ .

٢٧- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك للعلامة نور الدين أبي الحسن بن محمد بن عيسى الأشموني ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٩=١٩٩٨.

٢٨- شرح السنة للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي ت٥١٦، تحقيق شعيب الأرنؤوط ،وزهير الشاويش،طبعة المكتب الإسلامي بيروت١٤٠٣ه - ١٩٨٣م.

٢٩- شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري رسالة دكتوراه للباحث عبد الرحيم فارس أبو عبلة إشراف دكتور أنس جميل طبارة طبعة بيروت ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٠- علم النفس الأدبي للشيخ أمين الخولي ،نشر في مجلة علم النفس سنة ١٩٤٢م وطبع ضمن كتاب مناهج تجديد للمؤلف

٣١- العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة للدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي مخطوطة.

٣٢- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبي عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي ت ١٣٢٩هـ ، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته نشر دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.

٣٣- الفكر الإسلامي والتطور للدكتور محمد فتحي عثمان، الدار الكويتية، الكويت، الطبعة الثانية ١٩٦٩م .الفن القصصي في القرآن الكريم لمحمد أحمد خلف الله ، مع عرض وتحليل بقلم خليل عبد الكريم ، طبعة سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربي ، الطبعة الرابعة ١٩٩٩.

٣٤- الفكر الغربي دراسة نقدية لأنور الجندي طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ط١ ١٤٠٧هـ =١٩٨٧م .

٣٥- في الأدب المصري لأمين الخولي طبعة الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة سنة ٢٠٠٩

٣٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ت ١٠٣١هـ ، نشر المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ه.

٣٧- قاموس إنجليزي عربي لمنير البعلبكي .

٣٨- كتاب الخير لأمين الخولي طبعة دار الكتب المصرية .

٣٩- الكشاف للزمخشري طبعة محمد مصطفى.

٤٠- الكشاف للزمخشري الطبعة الأميرية .

٤١- كيف نفهم الإسلام للشيخ محمد الغزالي،بدون.

٤٢- لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، طبعة دار المعارف ، القاهرة .

٤٣- مجلة المقتطف، نمر فارس، يعقوب صروف، مكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة، العدد٦.

٤٤- مجلة الهلال عدد فبراير ١٩٠٢م .

٤٥- مجلة الآداب بيروت عدد مايو ١٩٧٠م ، مقال لمحمد النويهي.

٤٦- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، طبعة مكتبة لبنان ١٩٩٣ م.

٤٧- مستقبل الثقافة في مصر لطه حسين ، مصر ١٩٤٤م.

٤٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي ت ٧٧٠هـ ، نشر المكتبة العلمية – بيروت.

٤٩- مفهوم النص للدكتور نصر حامد أبو زيد .

٥٠- مقدمات العلوم والمناهج لأنور الجندي طبعة دار الأنصار بالقاهرة .

٥١- مقدمات العلوم والمناهج لأنور الجندي طبعة دار الأنصار بالقاهرة

٥٢- مقدمة الفن القصصي في القرآن الكريم لمحمد أحمد خلف الله ، تقديم أمين الخولي ، مع عرض وتحليل بقلم خليل عبد الكريم ، طبعة سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربي ، الطبعة الرابعة ١٩٩٩م.

٥٣- المعجم الوجيز، إعداد مجمع اللغة العربية ، طبعة وزارة التربية والتعليم بالقاهرة.

٥٤- المعركة بين القديم والحديث لمصطفى صادق الرافعي ، مصر ١٣٧٢ه – ١٩٥٣م.

٥٥- ملحة الإعراب وسنخة الآداب للعلامة الإمام جمال الدين أبي محمد القاسم بن علي الحريري مع تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب للشيخ محمد بن محمد عمر بحرق الحضرمي .

٥٦- من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا للعلامة يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٨م.

٥٧- الموافقات للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الشاطبي ت٧٩٠ ه مع شرحه للعلامة الدكتور محمد عبد الله دراز طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

٥٨- نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها للأب أنستانس الكرملي.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات